لحظات مع القرآن / ١

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الشيخ ابو قتادة
الحمد لله والصلاة على رسول الله
أما بعد
ففي سورة المعارج قال الله تعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم".
وفي سورة الذاريات قال تعالى: "وفي أموالهم حق للسائل والمحروم".
فكانت الصدقة في المعارج هي الزكاة الواجبة فهي معلومة المقدار، بخلاف ما في الذاريات فكانت الصدقة مطلقة بلا تحديد.
ومن تأمل الموصوفين في السورتين علم تفاوت الدرجات بينهما، فالموصوفون في الذاريات هم المتقون، كما قال تعالى: "إن المتقين في جنات وعيون"، ووصفوا بالإحسان في الدنيا كما قال تعالى: "إنهم كانوا قبل ذلك محسنين".
فمن ذكر هنا من العباد أي في الذاريات هم من ارتقى بعد درجة أداء الواجب الإيماني وهم المتقون المحسنون.
وأما الموصوفون في سورة المعارج فقد جاء ذكرهم مستثنون من الشر، فقد استفتح ذكرهم بقوله تعالى: "إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا..." فالخروج من الوصف المذموم يكون بالإرتقاء إلى ادنى درجات الوصف المقبول، وبالتالي هم يؤدون الواجبات ومنها الزكاة المفروضة.
فمقام الموصوفين في الذاريات أجّل من مقام الموصوفين في المعارج.
وأما المفارقة بين الوصف في المعارج وما بين المؤمنون، حيث ذكر وصف المؤمنين في الأولى بوصفين في شأنهم مع الصلاة، أولاهما بقوله تعالى: "الذين هم على صلاتهم دائمون"، وذلك لوقتها، فهم يديمون أدائها عند حضور وقتها بلا تخلف، وهو يلائم ما تقدم ان المقام مقام النجاة من وصف الذم المتقدم ذكره بقوله تعالى: "إن الإنسان خلق هلوعا ..." الآيات
ووصف اخر وهو المحافظة عليها بقوله تعالى: "والذين هم على صلاتهم يحافظون"، أي بإتيانها على الوجه الذي أمر الله به، هذا قول بعضهم، ويمكن القول أنهم يحافظون عليها من تضييعها بالمعاصي، وذلك بعد أدائها، ولذلك ذكر هذا الوصف كخاتم لكل الأوصاف، فمن ضيع الصلاة بعد أدائها بالمعاصي كان لغيرها من الطاعات التي يؤديها أضيع، فكان أمر ذكر الحفاظ عليها كالسياج في الحفاظ على الأعمال .

فأين هذا في سورة المؤمنون؟
يقال له: تقدم هذا بقوله تعالى:" قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون"، فهو وصف يدخل فيه هذا المعنى وأكثر لمن تأمله.
فإن قيل أين الصلاة في سورة الذاريات؟
قيل له: ذكر في السورة مقام أعظم للمتقين والمحسنين في باب الصلاة وهو قوله تعالى: "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون"، فهم يقومون الليل ، وهو أكثر من اداء الصلاة المفروضة، اذ لا يأتيها أي صلاة الليل إلا من أتى الصلاة المفروضة.

لحظات مع القرآن/٢
الشيخ ابو قتادة
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة على النبي الأمين، أما بعد
لما كانت العرب تقدم ما من شأنه الاعتناء به كما قال سيبويه ، فلم قدم الله تعالى في سورة المعارج ذكر البنين ثم جاء ذكر الزوجة وبعدها جاء الأخ ثم عائلته ثم أهل الأرض جميعا؟
إذ قال تعالى(يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه)
وأما في سورة عبس فقدم سبحانه الأخ على الزوجة والولد ، وقبلهما على الأم والأب، اذ قال سبحانه(فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه)
ذلك - والله أعلم- أن الأمر يدور في المعارج على الافتداء، والمرء يقرب بالعطاء البعيد من أجل القريب، فهو يرسل المال لينقذ به الولد والزوجة، وأحب ما لدى الإنسان من الأنساب هم الولد، فهم أقرب إليه من الزوجة ومن الأخ وبقية الأقرباء، وهذا مجبول في الفطر يعرفه كل واحد، فلما كان الأمر شديدا يوم القيامة ، ولشدته هذه فإن المرء يدفع الأحب إليه من أجل إنقاذ نفسه، فبدأ بالولد فهو الأحب ثم الصاحبة وهي عنده أقرب من أخيه ومن فصيلته بعد ذلك.
وأما الشأن في سورة عبس فإن الأمر يدور على الفرار من المطالبة، التي تكثر للحاجة الشديدة يومها، فكل واحد يسأل المعونة، فهو يهرب من البعيد حتى لا يعطيه، لأنه الأقرب في الهرب منه، فجاء بالأبعد ثم رتبها على البعد حتى جاء للولد فهو الأقرب اليه كما تقدم.
والقصد أن المرء في سورة المعارج هو الطالب لغيره أن يفديه، وفي سورة عبس هو المطلوب للفداء فتغاير الحال فكان تغاير الترتيب.

فإن قيل لمَ لم يذكر الوالدين في المعارج؟
قلت- والله أعلم- ان من العيب والسوء ان يرمي احد من الناس والديه في النار رجاء النجاة، والعرب لا يستسيغون هذا المقام ولا يتصورونه ،فأعرض عن ذكرهما لقذارة الفاعل مالو فعلها، وأقول هذا لقيم العرب المخاطبين بالقرآن، وأما غيرهم فلا يحسون هذه المعاني، لغياب إرث النبوة عنهم. مع أن قوله تعالى: وفصيلته التي تؤيه، يشملهما ولكن ذكرهما بالتلميح دون التصريح أليق لنفوس المخاطبين بهذا القرآن العظيم.

الشيخ أبو قتادة
لحظات مع القرآن/٣
بسم الله الرحمن الرحبم
وبه نستعين
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه
أما بعد
فالاحساس والشعور فطريان في الخلق كالشم والذوق وادراك الحرارة والبرودة، والعلم أمر زائد عليهما، ويأتي بالتعلم كما قال الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإدراك الفساد فطري في الخلق يعلم بالشعور وإدرك الهدى من الضلال يحتاج إلى إعمال عقل ونظر، فجاء قوله تعالى في البقرة بعد ذكر تبلد إحساس المنافقين بالفساد بعدم الشعور كما هو في قوله تعالى(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم المفسدون ولكن لا يشعرون) ، ولما جاء ذكر الإيمان وعدم اتباعه منهم وصفوا بعدم العلم كما قال سبحانه(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون).
وتقدم ذكر الأدنى في عدم بلوغه وأخّر الأعلى، أي تقدم ذكر عدم الشعور وأخّر عدم العلم زيادة تبكيت لهم.
وفي سورة يونس جاء قوله تعالى(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون، إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون)
ذلك لأن الآيات الكونية الأولى مبذولة للناس في إدراك مقاصدها، ومنه ما قاله هنا ؛ وهو معرفة السنين والحساب، فمقاصدها للعالمين بلا تخصيص، يأخذها المؤمن والكافر، فجاءت الفاصلة لقوم يعلمون ،وأما اختلاف الليل والنهار فهي علامات لعمل الصالحات من صلاة وصيام فهي للمتقين، ومثلها الآيات في السموات والأرض فقد اقيمت للذكرى وعمل الأيمان، فهي لهم من هذا الباب،وهم فيها أولى من

غيرهم، لا يحصل مقاصدها في هذا الباب إلا لهم فجاء قوله تعالى : لقوم يتقون.
فإن قيل لمَ قدم هنا ذكر اختلاف الليل والنهار على ذكر السموات والأرض، وفي آل عمران كان الترتيب بتقديم ذكر السموات والأرض على اختلاف الليل والنهار كما قال سبحانه وتعالى(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) فالسبب والله أعلم أن المطلب في آل عمران هو التفكر لا النظر الى هذه الآيات علامات لعمل الصالحات كجعل الفجر والزوال وغروب الشمس وغروب الشفق وقتا للصلاة فهي مواقيت زمانية ،كما الصوم كذلك، وجعل مواقيت مكانية للحج ، فهذا مطلب المتقين كما في يونس، وأما مطلب التفكر ففي آل عمران فجاء ذكر الأصل وهو خلق السموات والأرض، وأما تغاير الليل والنهار فتبع لهذا الخلق ، فقدم الأصل على الفرع، وأما في يونس فإن المواقيت الزمانية وارتباط الأعمال الصالحة بها أكثر من المواقيت المكانية فقدمت كونها مراعاة أكثر من المتقين في أعمالهم وطاعتهم وتقواهم.

لحظات مع القرآن/٤
الشيخ ابو قتادة
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد
فالطغاة يردون الحق دوما، وترتفع درجة عدائه كلما قوي، وهذا شأن الشيطان، فإنه لما رأى قوة الحق في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لم يطق إلا أن ينسى نفسه ويحمل شهاباً من نار ليحرق الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم من عنقه وخنقه ، واراد أن يربطه بسارية المسجد لولا تذكره صلى الله عليه وسلم لدعوة أخيه سليمان عليه السلام أن يعطيه ملكا لا يعطى لأحد غيره، فأطلقه.
في سورة الشعراء ارتفعت وتيرة الخصومة الفرعونية لموسى عليه السلام والهدى الذي جاء به من الاستهزاء ،إلى الإتهام بالباطل والدعاية الكاذبة للتنفير، إلى التهديد، قال تعالى(قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون، قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)
فهكذا ترتقي الخصومة وتشتد كلما اشتد الحق، وأما الميوعة

فتصنع الخلط والمداهنة، فيضيع الحق ويختلط بالباطل، والله لا يحب الفساد.
فهذه مراحل مسيرة الحق مع الباطل:
الاستهزاء المتضمن للإعراض
ثم التشكيك بالداعي واتهامه الزور والكذب
ثم التهديد والعذاب والمواجهة
ثم النصر

لحظات مع القرآن/٥
الشيخ أبو قتادة
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى آله الطيبين وعلى صحبه أجمعين، أما بعد
ففي سورة الرحمن ذكرت آية قوله تعالى(فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٣١) مرة كانت قسمتها على الوجه التالي:
في ذكر آلاء الله تعالى ونعمه وقدرته على الإيجاد والإمداد٨ مرات
في ذكر النار وأهلها٧ مرات
في ذكر الجنتين العاليتين ألأوليين ٨ مرات
في ذكر ما دونهما من الجنتين ٨ مرات
ومن تأمل قسمة هذه الأعداد عرف السبب ، ثم إن أبواب النار سبعة، وأبواب الجنة ثمانية.
وأما التفريق بين الجنتين في المراتب فهذا بعض وجهه:
أما الأولى فقد قال تعالى(فيهما عينان تجريان) وفي الثانية(فيهما عينان نضاختان) ، والعين الجارية اكثر ماءً من العين الناضخة فقط، فإن الجارية تضخ الماء ثم لكثرته يجري بعد ذلك، ولا يشترط هذا في كل ناصخة.
في الأولى أطلق أنواع الفواكه، فقال سبحانه(فيهما من كل فاكهة زوجان) فجع فيها من كل فاكهة، وجعل من كل فاكهة زوجان، وفي الثانية قيد اسم نعم الأطعمة فقال سبحانه(فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولم يجعلها أزواجا.
في الأولى جعل النساء بأنفسهن قاصرات الطرف، فقال (فيهن قاصرات الطرف) فنسب الفعل لهن، وفي الثانية نسب القصر لغيرهن، فقال سبحانه(مقصورات في الخيام)فالمدح للمرتبة الأولى أجل وأفخم ، مع ما في ذكر الأول من النساء من الوصف الزائد كقوله تعالى(كأنهن الياقوت والمرجان).
وفي المرتبة الأولى ذكر وصف ما أخفت السرر من الحرير (استبرق) إذ ذكرت بطائنها، أي ما في باطنها، وأما في الثانية فذكر ظاهرها (رفرف خضر وعبقري حسان) وحين يذكر الباطن غير الضروري ويجل ذكره يعني جلال الظاهر

المقصود وأنه أعظم.
وأمور أخرى لمن تفكر فيها.
بقي أمر وهو : من هم أهل المراتب في هاتين الجنتين؟
هذا تجد ذكره في السورة التي تليها ، وهي سورة الواقعة،ففيها ذكر السابقين، وذكر أهل اليمين، فأهل الجنان الأولى هم السابقون، وأهل الجنان الثانية هم أهل اليمين ،ولهذا حديث اخر

لحظات مع القرآن/٦
الشيخ ابو قتادة
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه
أما بعد
فعلى الرغم أن غزوة تبوك قد امتدت شهرا وزيادة من الصبر والغربة وقطع القفار ، وبلاء الجوع والعطش فإن الله سماها ساعة، كما قال تعالى(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم)
وذلك أن القرارات العظمى في جلالها ، وطول وقتها إنما تكون بحسم الإرادة في لحظة، فامتداد زمن الغزوة يكمن في تلك اللحظة التي انتصرت فيه ارادة النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك اللحظة تحوز في داخلها الزمن الطويل والفعل الجليل.
حياة المرء لحظة انتصار ارادة أو انهيار ارادة، فإياك أن تغفل أنك في كل قرار إنما تحكم على نفسك بالإيمان أو الكفر ، أو بالصلاح أو الفساد، فإما يتوب الله عليك بأن يحميك من الهلاك، أو توبق نفسك في الشر والعذاب.
في هذه الآية سمى الله العصمة من خطأ قرار الارادة توبة كما قال (لقد تاب الله على النبي) الآية، وسمى الله مغفرة الذنب بعد اقترافه توبة كما في الآية التي تليها (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ... (ثم تاب الله عليهم ليتوبوا) وشتان ما بين المرتبتين من الجلال وقرب العبد من ربه.
فالأوائل هم النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ، وكفى بهذا تعظيما وقربا، ثم إنه جعل اسميه سبحانه الرؤوف الرحيم هما الأليق في التعامل مع هذه المرتبة مع ما اصابهم من الشدة والبلاء، فدل على أن ترك النفير والجهاد هو خروج عن موجب الرأفة والرحمة، وهي مرتبة تحتاج التوبة والإنابة، كما قال تعالى (ليتوبوا)، فانظر في أي المقامين انت.
فاصلة وخاتمة المرتبة الأولى هي خاتمة وفاصلة قوله تعالى في ختام السورة(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، لكن الأولى هي وصف الرب، والثانية وصف الرسول، ليعلم الناس أن من أمرهم من قادتهم بالجهاد والنفير هو بهم رؤوف رحيم، فإن أجابوا فقد استحقوا الرحمة والرأفة.

لحظات مع القرآن/٧
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه
أما بعد
فالمعاصي بريد الكفر كما قال علماء الإسلام، وتعني أن الرجل إن أكثر من المعاصي والكبائر فإنه يخشى عليه الوقوع في الكفر ، إما في حياته وإما لحظة موته، والكبائر هذه في ذاتها ليست كفراً أكبراً كما هو في دين الله تعالى ، لكنها تكون وسيلة إلى الكفر في بعض الأحول، وهذا موجود في كتاب الله تعالى في مواطن منها:
--- لما رد الله على بني اسرائيل ادعاءهم ان النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، كما في قوله تعالى(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)وهذا قول كثير من أصحاب المعاصي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يقترفون من المعاصي والموبقات ويكثرون منها تحت رجاء المغفرة أو أن عاقبتهم الجنة بعد ذلك، ويقولون هذا القول على جهة التهوين لما يقترفون، فقال الله تعالى رادا عليهم (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فجعل الله من أحاطت به خطيئته حتى احتوشته الى مصيرها وهو الكفر خالدا في جهنم.
فهذا دليل أن المعاصي بريد الكفر والخروج من الملة.
--- قال تعالى في سورة الروم: ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون) فكانت معاصيهم وسيئاتهم لها عاقبة الكفر ، وذلك بالتكذيب بأحكام الله تعالى وأخباره، والاستهزاء بدين الله تعالى، وهذا نراه في الخلق ممن انتسب للإسلام، يبدا بشرب الخمر ويكثر منها، ثم إذا نصح جادل فيها ، ثم جعل يمدحها على وجه يرد به حكم الله تعالى، ثم يبدأ يثير الطرائف والاستهزاء بحرمتها فيقع في الكفر ، وهكذا نرى في آكلي الربا إذا أقاموا عليه جعلوه من محاسن العقود ، وصاروا يستهزؤون ويذمون البيع الشرعي فيكفرون.
فهذا وجه لما تقدم ، ووجه آخر وهو الفتنة عند الموت فإن البعض لما يصيب من المعاصي في الدنيا ويكثر منها إذا فتن عند الموت من الشيطان قبَل الفتنة وسقط فيها وسجد

للشيطان فيكفر ويخرج من الإسلام، وهذا كله ما يسميه علماؤنا بكفر المآل.
ومما يشهد لهذا النوع من الكفر ما ورد في سورة يونس في قوله تعالى: (والذين كسبوا السيئات وجزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فتأمل غيها مع ما تقدم تجد المعنى جلياً في قلبك.

لحظات مع القرآن/٨
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه ومن والاه
أما بعد
ففي سورة يوسف يخبرنا الله تعالى أن رفيقي يوسف عليه في السجن تقدموا بسؤاله عن تفسير رؤياهما، ويتقدما بذكر فضله وخلقه ، وذلك كما قال تعالى عنها(نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) ونكتشف بعدها أن يوسف عليه السلام أخر دعوتهما للتوحيد حتى استقر في نفسيهما عظم خلقه الذي تعامل به معهما فقالا هذا الحكم(إنا نراك من المحسنين) ، واكتشفنا بعد ذلك أن من الحديث الجاري بينهم قبل ذلك كان يدور بعضه عن الطعام (لا يأتيكما طهام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وذلك لإثارتهم للسؤال عن مصدر ما يقوله من علم، فلما استقر في نفسيهما خلق هذا الرجل وعظمة صفاته، ولما علما أن عنده علم زائد عما يعلمه أهل بلدتهم أقبلا على سؤاله، وهنا شرع يوسف النبي الكريم عليه السلام بدعوتهم للتوحيد وبيان ما هو ،وبيان ما عليه أهلهم من الشرك بطريقة حكيمة(إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) وبصراحة لا تقبل اللبس(ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان).
فعلم من هذا أن طريق المهتدين في الدعوة إلى الحق لا تكون إلا بواسطة الخلق العظيم، وبوجود مادة القبول في الناس لهذا الداعي، وحين يأتي الداعي بأمر مغاير ما عليه الجموع فإنه لا بد من مقدمة بها يقبل الجموع اختصاص هذا الداعي لهذا العلم.
تحدث معهم يوسف عليه السلام عن الطعام ليكون مدخلا للدين، وعاملهم بأحسن الأخلاق لقبلوا منه،ثم يأتي جاهل سيء الأخلاق ليزعم أنه يعلم ما لم يعلمه الناس، ويريد من العالمين أن يمشوا وراء ما يقوله.
رأيت بعضهم يتحدث عن مسائل هي من التوحيد الذي يجهله البعض فقلت لنفسي: والله لو حدثني هذا الرجل بهذا الذي

يقوله ،وأنا أقوله ،لما قبلت منه، وذلك لجهله بما يحدث به، ولسوء أخلاقه وقبح كلامه.
كن محسنا في القول والفعل ثم اطلب من الناس ان يستمعوا لك ويقبلوا على كلامك، وإلا فأنت صاد عن دين الله تعالى.

لحظات مع القرآن/٩
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله الطيبين وعلى صحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
أما بعد
فمما تبينه أعمال وصفات يوسف عليه السلام كما في السورة أنه كان يبذل ما أعطاه من الله من علم لكل أحد؛ مشرك كان أو غير ذلك، ولا يطلب على علمه المال ولا الأجر الدنيوي، وذلك بأنه عليه السلام أعلمهم تأويل رؤياهما ، ولم يقل أنا لا أعمل إلا في الدعوة الى التوحيد ونشر الدين، وكذلك لما جاءه الرسول الذي أرسل من قبل الملك وسأله تأويل رؤيا الملك ، فلم يحبس العلم ولا منفعتهم في شؤون دنياهم مما يحتاجونه، بل بذله لهم بلا أجر ، وقد كذبت التوراة لما ذكرت أن يوسف عليه السلام طلب الأجر على تفسير الرؤيا، فهذا كذب، بل إنه عليه السلام لم يثرب على الرجل وقد نسي أن يذكره عند ربه كما طلب منه كما قال تعالى عنه(وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك)، فدل هذا أن العامل لدين الله تعالى من عالم وداعي ومجاهد لا يتأخر عن خدمة الناس فيما يحتاجونه متعللا أنه لا يعمل إلا في الأعمال الدينية البحتة، والسنة شاهدة على هذا المعنى.
ونظر الناس إلى العامل في دين الله وحرصه على منفعتهم وبذله وقته وجهذه لإيصال الخير لهم دليل في أنفسهم أنه رجل صدق وهداية ،
وأنه لا يرجو لهم إلا الخير.
تأمل هذا المعنى وقارنه بمن يؤذي الناس وهو في أعمال الشر ثم يسأل :لم الناس لا يسمعون له!.

لحظات مع القرآن/١٠
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد
ومما في خبر يوسف عليه السلام في قصته في القرآن الكريم، أنه عرض نفسه الكريمة للعمل على معالجة النازلة التي حدثت لهم من الجوع والمسغبة، وهذا في قوله تعالى

على لسانه(اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) ومدح الله فعله بأن جعله من قبيل المن والعطاء الإلهي بقوله تعالى(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبؤ منها حيث نشاء) وفي هذا أمور عديدة منها:
--- أنه يجوز لمن اتقن علما أو فنا أن يبينه للناس لمصلحة من المصالح كمن يتقن الزراعة أو صناعة شيء معين ، فيجوز له أن يقول : هذا من فني ، وأنا أتقنه ، ويعرض نفسه على الناس ليعملوا عنده، أو يعمل عندهم، لمنفعته ومنفعتهم، وليس هذا من باب التزكية المذمومة، اذ التزكية المذمومة إنما تكون بلا موجب ولا معنى ، وتكون للفخر والخيلاء والرفعة على الخلق.
ويوسف عليه السلام إنما عرض نفسه على الملك بعد أن ظهر لهم ما يدعو لتصديقه، وذلك لئلا يتخذ هزوا وضحكا، فلو قال هذه الأوصاف عن نفسه قبل ان يعلم الناس شأنه في تأويل الرؤى، كما علموا صدقه في خصومة النساء له، وأنه لا يتابع هواه، فهو حافظ للعهد، صادق الكلمة ، نقي الثوب ،وقد دعي وهو الشاب للزنا من زوجة العزيز ولم يجب ، لما صدقوه، بل إن الملك كلمه كما قال تعالى(فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ، فعلم حاله ومقاله،وهكذا لم يقذف يوسف نفسه لهذا الأمر حتى مهد له من اسباب الحق ما يدعو المقابل إلى متابعته.
--- احتج من احتج بفعل يوسف عليه السلام على جواز الدخول في الوزارات في الأنظمة الطاغوتية، بحجة أن عمل يوسف هو الوزارة، والحاكم الذي عمل عنده هو من قال هو فيهم(ما تعبدون من دون الله إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) ، فدل هذا عندهم جواز العمل وزيرا في أنظمة الكفر ، والمخالفون لهذا القول لهم ردود حوله معروفة، والصواب في المسألة هو التالي:
إن الذين يعلقون الأحكام على الأسماء المجردة دون النظر إلى المعاني لا فقه عندهم ، ولا يجوز لهم القول في دين الله تعالى، فهؤلاء الذين أجازوا الوزارة اليوم بحجة قيام يوسف بها لاتفاق معنى الوزارة في الحالين هم من هذا الصنف، أي ممن يعلق الأحام على الأسماء مع اختلاف المعاني، وشرح ذلك هو التالي:
ابتداء يعرف الجميع أن الوزارة إجارة، فيجوز للمسلم أن يعمل أجيرا عند الكافر مع الكراهة، وذلك لأن المسلم إن صار أجيرا كان تحت الكافر، والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ولكن قد تذهب الكراهة لأسباب منها الحاجة والاضطرار ، او تحقيق مصلحة، لكن السؤال: هل قول الفقهاء بجواز الاجارة مطلقا يعني أنها تجوز في كل عمل ؟!
فلو قال قائل: لما كانت الإجارة جائزة ، فيجوز العمل أجيرا لصنع الخمر، أو قال : لما كانت الإجارة جائزة جاز وضع شرط

أن هذا الأجير ملزم بالدفاع عن دين المؤجر الكافر ، أو جاز القتال تحت رايته ضد خصومه في الدين؟!
كل طالب علم يعلم أن هذه إجارة باطلة، ومنها ما هو كفر ومنها ما هو معصية، فهل ترون يوسف عليه السلام عمل وزيرا(أجيرا)على أمر كفري ، أو على عمل من أعمال المعصية؟!
لقد ضل وكفر من قال هذا.
من قواعد العمل الحكومي وفي كل الانظمة المعمول بها في الدنيا هذه الأيام أن العلاقة بين الوزارات علاقة تضامنية .
وتعني أن كل وزير هو مسؤول سياسي عن عمل كل وزارة أخرى ، يدافع عنها ويتبنى سياستها ، ولا يجوز له أن يخالفها، ولو خالف وجب خروجه منها ، فوزير الأوقاف هو مسؤول في الدفاع عن سياسة كل الوزارات الاخرى في الحكومة، وهو مسؤول عن الدستور والدفاع عنه في هذا البلد، وبالتالي حكمه أي هذا الوزير هو حكم الدستور الذي يعمل به وتحت ظله، ومثاله وزير الأوقاف في بلد اسلامي هو حكم وزيد العدل الجاهلي الذي يدين به
وهو حكم وزير الداخلية وما يما سه من سياسات ،وحكمه هو حكم الدستور الذي يعمل في ظله ،فلا يجوز له مخالفته ، بل يحب عليه الدفاع عنه، وهذا شرط كما تعلم له حكمه، إن كان معصية فمعصية وإن كان كفرا فكفر.
وأما هؤلاء الذين اجازوا الوزارة بجامع الاسم دون المعنى فهم جهلة ،ولا شك في هذا.
يقابلهم في الخطأ من زعم أن هذا من شرع من قبلنا، وهو مغاير لشرعنا ، والصواب في هذا المسألة أن شرع من قبلنا هو شرع لنا على الوصف المذكور في هذه المسألة، ذلك لأنها من التوحيد، وشرع من قبلنا في التوحيد هو شرع لنا بلا خلاف، والله الموفق

لحظات مع القرآن/١١
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله الطيبين وعلى صحبه أجمعين
أما بعد
ومما يفهم من قصة الصديق يوسف الكريم عليه السلام هو عقل الملك الذي لم يأنف أن يرسل رسوله إلى سجين ليعلم منه تأويل الرؤيا، ولم يأنف أن يستدعيه ليسمع منه وهو السجين، ثم لما رفض يوسف الصديق عليه السلام أن يخرج من السجن حتى يثبت لهم براءته بشهادة النسوة لم يتكبر الملك ولا غضب بل ذهب لهذا السبيل لبيان الحق ودعى النسوة وسألهن، ثم لما نفذ مطلب النبي يوسف عليه السلام

أرسل له مرة أخرى ودعاه إليه ، وكلمه، ورتب على الكلام معه معرفة عقله فوق ما علمه من علمه وخلقه وأمانته ونزاهة جانبه، فهذا صنيع من الملك عظيم، وبه يستحق الحمد والثناء وكل ذلك لمصلحة أمته وقومه وشعبه، ثم إن توكيل يوسف عليه السلام خزائن أرض مصر لهو دليل آخر على عقل هذا الملك، وذلك بأن وزع الواجبات على أهل المقدرة ليقدر على حملها وأدائها ، وأظهر هؤلاء القادرين للناس لينسب الفضل لهم لا له، فهذه هي مقومات البقاء للدول والأمم والحضارات، وجنس هذا الملك العاقل العادل هو جنس ملكة سبأ التي ذكرها الله تعالى في سورة النمل، فمن تفكر في حسن تدبيرها ومشاورتها لعقلاء قومها ، ثم تفكر في اختياراتها علم أنها تستحق المدح والثناء، وليس عجيبا بعد ذلك أن يقول الله تعالى على لسانها(أسلمت مع سليمان لله رب العالمين). خذ الحكمة حتى لو كانت في غير مكانها المعتاد، فالسجن مأوى المجرمين في الدول العادلة ومأوى الصالحين في الدول الظالمة، ومع ذلك فقد ذهب اليها الملك لأنه من أهل الحكمة والعقل.

لحظات مع القرآن/١٢
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
ففي آيات ثلاث آيات فيما أعلم دليل أن التوبة عند ظهور الآيات الكبرى لا تنفع ولا تقبل، كما أنه لا يقبل إسلام أحد، إذ المقصود هو الإيمان بالغيب، وحين ظهور الآيات الكبرى ينتهي هذا المعنى ، وهذه الآيات هي :
-- قوله تعالى في سورة الأنعام(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو بعض آيات ربك، يوم تأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) ، فدلت على أن الإيمان لا ينفع عند قدوم الآيات الكبرى، كما عند هلاك الأمم كما حدث مع السابقين كما قال تعالى في سورة يونس(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) ورفع العذاب عنهم ؛ أي قوم يونس عليه السلام دون غيرهم إنما كان والله أعلم لعدم بلوغ الحجة غايتها فيهم، وذلك لما خرج يونس عليه السلام من بينهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله(وذا النون إذ ذهب مغاضبا).
-- في سورة السجدة في قوله تعالى(ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، قل يوم الفتح، قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وذكر هذا الأمر في

سورة يستحب قراءتها في صلاة الفجر من يوم الجمعة، والجمعة كما هو ثابت فيها يوم القيامة يدل على ارتباط الشرعي بالقدري في هذا الباب.
ففتح الله تعالى لآياته في الوقت المقدر يرفع قبول الإيمان والتوبة.
-- في سورة المؤمن(غافر) قال تعالى(فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)، وهذه عامة في يوم القيامة وفي كل عذاب عظيم يتم به استئصال أمة لكفرها.
وهذا المعنى من عدم قبول الإيمان من الأمم عند عذاب الاسئتصال مذكور في مواطن من الكتاب منه قوله تعالى في سورة الفرقان (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ،،، إلى قوله تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) أي باحثين عن نجاة لهم يحجر عنهم العذاب.
فدل هذا أن الإيمان لا يكون نافعا حتى يكون بالغيب تصديقا لخبر الأنبياء عن ربهم.

لحظات مع القرآن/١٣
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فإن لفظ الردة بمعناه الفقهي وهو الخروج من الإسلام إلى الكفر ورد في القرآن في موطنين اثنين:
أولاهما في سورة المائدة في قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءوالله واسع عليم).
وثانيهما في سورة محمد وهي سورة القتال(إن الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم)
والموطنان في سياق الولاء والبراء واتباع الحكم والتشريع، فإن الآية الأولى من سورة المائدة جاءت بعد قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم،،، الى قوله تعالى فأصبحوا خاسرين) وهذه الآيات في الولاء والبراء من الكافرين جاءت بعد آيات كفر وفسق وظلم الحاكمين بغير

شريعة الرحمن، اذ رتب توحيد الولاء والبراء في سورة المائدة بعد توحيد الحكم والتشريع ، والآية الثانية في سورة القتال بينة في ردة المتابعين لبعض تشريع الكافرين في الطاعة كما في قوله تعالى عنهم(سنطيعكم في بعض الأمر) وأقم عقلك وفكرك متنبها إلى كلمة (بعض) لتدلك على أن بعض الطاعة في التشريع والحكم كفر كما في سورة الأنعام في قوله تعالى(وإن أطعتموهم إنكم لمشركون).
وفي الآيتين نذارة الإستبدال إن وقعت الردة ، وهذا بين في آية المائدة، وأما في سورة القتال فبين في قوله تعالى بعد هذا في خاتة السورة(وإن تتولوا بستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).
علم من هذا والله أعلم أن ردة هذه الأمة عن دينها إنما أكثره في هذا الباب، وهو متابعة المشركين في التشريع، وباب الولاء البراء، وهو عامة كفر من كفر هذه الأيام في هذا الزمان.

لحظات مع القرآن/١٤
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله أجمعين وعلى صحبه الغر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أما بعد
فمما يدل على عفو الله على عبده إن غلبه الضعف البشري الفطري الذي لا يقدر على دفعه ما وقع لأم موسى عليه السلام.
فهذه امرأة أوحى الله تعالى إليها بأن قذف في قلبها معاني الاطمئنان للفعل كما قال سبحانه وتعالى(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فهذه مطمئنات عظيمة بينة، وذلك بأن يحفظ الله تعالى لها ابنها، وأنه سبحانه سيرده إليها ، بل سيجعله رسولا نبياً، ولهذا فعلت ما قذف في قلبها بسبب الإطمئنان، ثم لما غاب عن عينيها جاءتها الهواجس ، وطم الخوف على قلبها فغلبها ، فأرسلت أخته وراءه ترقبه وتراه وتعلم من شأنه، وقال تعالى عن حالها(وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) أي تبدي جزعها وخوفها فيخرج منها كلام يضاد الرضى والقبول والتسليم، ولكن حفظها الله تعالى من ذلك بأن ربط على قلبها برباط اليقين، ولم يعاتبها الله لهذه المعاني القلبية لانها معاني فطرية في نفس الأم، وهي بما فيها من هذه المعاني وقوتها لا تقدر على دفعها، وهذا من رحمة الله تعالى للناس في هذا

الباب، قم لم تعاتب لأنها وإن جاءتها هذه المعاني في قلبها إنما لم تظهرها ولم يخرج على لسانها كلام لا يرضى عنه الله تعالى.
فعلم من هذا أن حركة القلب الفطرية مهما كانت من حب أو خوف أو اضطراب مما لا يقدر الناس دفعه عنهم لا محل لها في العتاب والسؤال والعقاب، بل هي من عفو الله تعالى، بشرط أن لا يكون معها من لقلقة اللسان التي يكرهها الله أو متابعة هذه المعاني على وجه من الفعل الذي يكرهه الله.
ومما يشهد لهذا المعنى ما وقع ليوسف الصديق عليه السلام من نوازع الرجولة الفطرية في الميل للنساء حين عرضت امرأة العزيز نفسها عليه فقال تعالى(وهمت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) والصحيح في هذه الآية ان نازع الشهوة قد أتاه عليه السلام خلافا لمن نفاه، ذلك بأن اثبات هذا له فيه جمع لتمام رجولته، وكذلك تمام تقواه حتى وهو مع هذه الحالة من الشهوة وذلك في ملك إربه، ولو لم يقع هذا منه لذهب معنى المدح الإلهي في هذا الباب، فإن الرجل إن أعرض عن الفعل لعدم وجود الشهوة لم يكن له كبير فضل كمن دافعته سهوته وقويت عليه ثم استطاع دفعها لخوفه من الله تعالى ومراقبته لمولاه ، وهذا هو برهان ربه له، وذلك باتخاذه نبيا، ولو وقع منه المعصية لذهب هذا الفضل عنه.
فلا تلم يعقوب عليه السلام وهو يقول لأبنائه(بل سولت لكم انفسكم أمرا) ، ولا تلمه وهو يقول(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) ولا تلمه وهو يبكي ابنه حتى ذهب بصره، فهذه دلالة سلامة الفطرة ، والله يعلم حالها ، وإنما العبرة بالصبر أن لا تقول إلا ما يرضي الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه ابراهيم .

لحظات مع القرآن/١٥
بسم الله الرجمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فقد ذكر الله تعالى حال المشرك في سورة الحج وجعله مآله إلى أمرين، إما أن يستقر على كفر مقيم عليه لا يفارقه، وإما ان يبقى في حيرة لا تقره على حال ، بل هو التردد والشك وعدم الاستقرار ، وهذا في قوله تعالى(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فأما تخطف الطير فهو مقام الحيرة، حيث تتلعب به الطيور بلا إرادة منه، بل هو يتقلب من قول إلى قول ومن دين إلى دين ومن ولاء لطاغوت إلى غيره كما قال تعالى (فيه شركاء متشاكسون) ، وهذا كفر الحيرة والشك

والتردد، وأما من تهوي به الريح في مكان سحيق فهو كفر الاستقرار على دين غير دين الإسلام ، وعلى عمل يخالف التوحيد بأنواعه المذكورة في كتاب ربنا، فهذا كفره على حال واحد كالنصراني أو اليهودي أو الملحد.
وسورة الحج في سياقها لهذا الشرك تتحدث عن شرك النسك، وفيها كذلك تنوع آخر للمشركين بحسب مقاماتهم العلمية من باب آخر ، وهو باب التقليد للغير أو افتراء الكذب من الذات، وهذا في قوله تعالى في بدايتها(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) فهذا كفر وشرك التقليد ، إذ هذا النوع يتبع شياطين الأنس والجن فيما يقولون من كفر وشرك مقلدا لهم، وأما النوع الثاني فهو في قوله تعالى(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وهذا كفر الأئمة الطواغيت في اديان الشرك، فاستوعبت سورة الحج أنواع الشرك بصورتيه من حال القلب معه وذلك بالتردد أو الاستقرار ، ومن صورة واقعه مع العلم وذلك بالتقليد أو الافتراء، ولو جمعنا بينهما لوجدنا أن الحيرة تتبع الرؤوس لكثرة نظرهم ولعدم وجود الكتاب الهادي لهم ولا العلم النافع فيهم وهذا على الغالب، وأما الاستقرار على الشرك فإنه يغلب على المقلد الجاهل.
ومن عجائب النظر أن سورة الحج ذكرت كذلك فتنة الهوى والدنيا كما في قوله تعالى(ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة خسر الدنيا والآخرة) ولم تذكر فتنة الابتلاء كما في سورة العنكبوت مثلا، ذلك بأن السورة إنما تتحدث في اغلبها عن توحيد النسك والعبادة وهذا النوع من التوحيد يعارضه فتنة الدنيا وأقدارها.

لحظات مع القرآن/١٦
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فذو القرنين شخصية إيمانية قرآنية، تحدث القرآن عن مجال حركته الجهادية الجغرافية، وقد حاول العلماء بالتواريخ تحديد شخصيته، فمن القدماء من قال إن اسمه الاسكندر، ولا يقصدون المقدوني المشرك الذي كان على دين الوثنية اليونانية، بل يقصدون شخصاً آخر، وجاء أبو الكلام أزاد المؤرخ الإسلامي الهندي واجتهد أنه كورش الفارسي وكتب في هذا كتاباً، وذكر فيه أدلته، والصواب عندي أنه كان قبل كتابة التاريخ، فليس هو واحد مما قالوا، ولا وجود له في كتب التاريخ لقدمه ولا يعرف شأنه إلا من القرآن، وهو عندي رجل موحد مجاهد يمني، وذلك لأمور:

ان نسبة (ذو) التي هي في اسمه مشهورة لأهل اليمن، وذلك كذي النواس صاحب الأخدود المذكور في القرآن في سورة المعارج، وذي يزن الملك اليمني المشهور بطلب ملك أبيه والذي كان سببا لدخول الفرس اليمن وحكمهم إياها حتى طهرها الإسلام منهم ، وغيرهم، فهذه نسبة لملوك اليمن ، وهذا ذو القرنين، فهو منهم ، وهو دليل أنه عربي لا غير واليمن أصل العرب.

ومن الأدلة على أنه من عمق الجزيرة العربية ما ذكره الله تعالى من مسيرته الجغرافية، إذ ذكر أنه توجه ابتداءً إلى مغرب الأرض، والمقصود مغرب العالم القديم يومذاك، وهذا المغرب الذي وصله هو ما يقال له اليوم هولندا، وهي تسمى بالأرض الواطئة، وطبيعة هذا المكان أنه لغوره في الأرض إذا نزل المطر في الشتاء تحولت أرضه لبحيرة، ثم تبدا بالجفاف بعد ذلك، وخلال هذا الجفاف تكون أرضاً كما وصفها القرآن(حمئة) وهذا حين وصول ذي القرنين إليها، فقال سبحانه(حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ، وهذا دليل أن الدعوة وصلت لأهل تلك البلاد كما ذكر القرآن، والمقصود أنه لو كان في غير هذا الموطن من الجزيرة العربية بل عمقها أي اليمن لاختار لحكمته الابتداء بغير هذا الاتجاه.

ثم لما قضى هناك أمر الدعوة الى الله توجه إلى مشرق الأرض، وبلغ مكانا لا يستر أهلها من الشمس، أي في وقت وصوله إليها ، ودع عنك الروايات الباطلة المنكرة علما وتاريخا مما يقال عن أهل تلك الارض، فإن الناس هم الناس لا فرق بينهم من زمن البشرية، والصواب في هذا المعنى وهو قوله تعالى(قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) أن الستر هو الليل، فهو يستر الشمس، فدل هذا أن ذا القرنبن بلغ مشرق الشمس في وقت يطول فيه النهار حتى لا يكون ليلا شهورا طويلة، ثم ينقلب الحال فيكون الليل طويلا بلا نهار ، لكن ذا القرنين بلغ في الحال الأول، فدل هذا أن ذا القرنين بلغ بحسب طبيعة الأرض اليوم أقصى الأرض من جهة الشمال الشرقي لروسيا، وهي منطقة تقع فيها هذه الظاهرة، أي طول الليل والنهار بحسب الشتاءوالصيف.

ثم لما عاود الرجوع لوطنه سار الى وسطها باتجاه الجنوب ، ولذلك مر على المقيمين بين الجبلين (السدين) ، وكان من شأن هؤلاء الناس غرابة لغتهم، ولذلك سماهم القرآن(لا يكادون يفقهون قولا) فهم لحصرهم أنفسهم في هذه المعيشة لم يتقنوا إلا لغتهم، وبالتالي كانت لغة خاصة بهم، ومثل هذه اللغات تكون ساذجة،ومن طبيعة هذه الأرض التي هي بين السدين أن فيها الحديد بكثرة ، والدليل أنه صنع لهم سدا منه، إذ كان يبني الحجارة المتقابلة ثم يصب بينهما الحديد المصهور، وهذا لا يمكن وقوعه إلا ببلاد يكون فيها

الحديد متوافراً بكثرة، والباحث يعلم أن أكثر مكان في العالم ينتج مادة الحديد هي المنطقة الواقعة بين الصين وانقوشيا، فهي تنتج ثلث حديد العالم، كما أن أهل العلم بالتاريخ يقولون إن أول حداد في التاريخ كان من هذه المنطقة، فهناك بني السد المذكور في القرأن، وهو لا بد أن يكون موجودا أي السد ، ولو بحث عنه لوجد، ولكن عوامل الطقس قد غطته، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن أول بداية الإنهيار والتآكل قد بدأت في زمانه بقوله صلى الله عليه وسلم(فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا) وحلق بين اصبعيه السبابة والإبهام،وهذا السد أو الردم جعل الله توقيت دماره خروج يأجوج ومأجوج، لا أنه يمنعهم من الخروج كما جاءت روايات منكرة في ذلك، صححها البعض غلطا في النظر والبحث.
ثم إن الصحيح أن يأجوج ومأجوج هم أهل العرق الأصفر من الصينيين وغيرهم، وهم من ذرية آدم كما صح في الحديث، اي حديث بعث النار المشهور.

لحظات مع القرآن/١٧

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

ففي آيات متعددة أمرالله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر، وقد اعقب الأمر بالصبر في مواطن بأمرين كل على حدة، أولاهما كثرة الذكر من التسبيح والاستغفار، وذلك كقوله تعالى(فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) وقوله تعالى(فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار)

وهذه الآية من سورة غافر ، وقد تكرر الصبر مرة أخرى بعد ذلك فيها في قوله تعالى(فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أونتوفينك فإلينا يرجعون) ذلك بأن الصبر في الأولى كان بعد ذكر خبر النصر لأنبيائه في قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وكان الأمر بالصبر في الثانية بعد ذكر أمر الآخرة وارتقابه كما هو بيّن من قوله تعالى(اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون)، فدل أن الصبر يكون على أمرين، على ارتقاب الوعد ، وعلى فعل الطاعات من الجهاد والدعوة والعلم،وجاء الصبر على فعل الطاعات من مجاهدة الخصوم

فيه الأمر بالذكر كما هو شأن الحالة الأولى من وجوب مرافقة الصبر للذكر.

أما الأمر الثاني المرافق للصبر فهو تذكر السابقين من المبتلين ليحصل العبرة وتقوية القلب وثباته، وهذا في قوله تعالى(واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود إنه أواب) وذلك تطبيقا لقوله تعالى(واصبر كما صبر أولي العزم من الرسل)

ومما يرافق الصبر كذلك ويقويه: هجر مكان السفه والسفهاء، كما في قوله تعالى(واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) فإن البقاء في مكان الألم مرهق للنفس متعب لها.

ولكن هذا عمل سلوبي كما يقولون، وما تقدم عمل وجوبي فيه الفعل المرافق، وهذا له تعلق ببيئة الصبر المعينة، وما تقدم من أمر الذكر وحضور مثال الصبر للعبرة وتقوية القلب .

تذكر ان ترافق صبرك دوام الذكر لربك من استغفار وتسبيح، ثم تذكر المارين في التاريخ من الصابرين تدرك حكمة الفعل ويقوى قلبك على دوام المسير.

الشيخ أبو قتادة ٠

لحظات مع القرآن/١٩
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
ففي سورة الناس جاء ذكر ثلاثة اوصاف لربنا المستعان جل في علاه ليستعاذ بها من أمر واحد فقط، فقد قال تعالى(قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) فهذه اوصافه جل في علاه، تشمل الربوبية العامة والملك التام والألوهية المستحقة، فاستوعبت فعل الرب وسلطانه وفعل الصالحين تجاهه،، وأما المستعاذ منه فواحد وهو (من شر الوسواس الخناس) وذكر بعدها أوصاف هذا الموسوس فقال سبحانه(الذي يوسوس في صدور الناس) كما ذكر انواعه(من الجنة والناس)كما قال تعالى(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)وقدم شياطين الأنس على الجن لعظم شرهم في الوسوسة والإضلال،وأما في سورة الفلق فقد جاء وصف واحد لله ربنا جل في علاه ليقابل في الاستعاذة من ثلاثة امور، فأما الصفة فهي قوله تعالى(رب الفلق)، وأما المستعاذ منه بهذه الصفة من الشر فهي(شر ما خلق)(شر

غاسق اذا وقب) (شر النفاثات في العقد)،فعلم أن أمر وسوسة الشر أكبر من هذه الشرور في سورة الفلق ،فحيث تعددت الأوصاف الالهية للاستعاذة من شر واحد، وجاء وصف الهي واحد ليستعاذ من ثلاثة شرور دل أن هذا الواحد أشد في الشر ، وأكثر في الفساد ، وأشق على الإنسان من هذه الشرور الثلاثة، فالذين يخافون من العين، ومن السحر ومن تعاقب الأقدار عليهم أكثر من شر وسوسة الإنس والجن بالشر يقلبون الأمور ، فيؤخرون ما وجب تقديمه، ويقدمون ما وجب تأخيره، فلا عليك بأن تشغل نفسك بمعالجة وسواس الشياطين، فإن هذا أهم من غيره مما يشغل الكثير من الناس.

فائدة: يقول أهل العلم باللغات إن أول ما يفسد من اللغات هو التصويت، أي نطق حروفها وكلامها على الوجه السليم،فهو الجدار الحامي للغة، فحيث حافظ أهل اللغة على صوت الحروف في نطقهم حافظوا على لغتهم ومنعوا زوالها وفسادها، ومن تأمل عناية القرآن باللغة العربية وجد أمورا كثيرة، منها الحفاظ على صوت حروفها، فهاتان السورتان أول ما يعلم الصبي من القرآن وبها يردد حرف السين متكررا، مع ما فيه من سلاسة ويسر ، وجريان نفس محبب، وصفير داخلي كموسيقى في النفس لا خارجها،ثم يأتي بعدها تكرار حرف القاف مع ما فيه جرس قوي أشبه بوقوع الصخر ، ومهابة جليلة عميقة،وذلك مع قلقلته التي تصاحبه وتزيده قوة وفخامة، فيصلح لسان الفتى والصبي مع هذه اللغة فيحفظ جرسها وصوتها.

لحظات مع القرآن/٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

ففي الفتن والملمات وسقوط الناس فيها يبرز لردها ثباتا ويقينا صنفان من الناس:

في سورة البقرة وبعد أن سار طالوت بالجنود للجهاد، وحصل لهم الابتلاء بالنهر الذي منعوا من الشرب منه إلا قليلا قال تعالى(فشربوا منه الا قليلاً منهم) وسمى الله هؤلاء مؤمنين ، وذلك في قوله تعالى(فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) فكان هؤلاء بعد ذلك مادة فتنة أخرى أعظم وأشد، وهي فتنة مقابلة العدو الأكبر والأضخم، فقال هؤلاء المؤمنون(لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) فبرز حينها صنف هم أخص في الإيمان من الناس، وهم الذين قال الله عنهم(قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

بإذن الله)، فاجتمع فيهم فهم حركة الإيمان مع التاريخ، إذ أنتج هذا القول معرفتهم بذلك، والثقة بوعد الله تعالى أن هذه السنة ما زالت سارية وتعمل ولم تتخلف.
وفي سورة القصص في سياق خبر قارون مع قومه، نصحه قومه(إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين)، ولكن حين حضرت الفتنة ورآها الناس سقطت جموع،كما قال تعالى(فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) فبرز لردها من وصفهم الله تعالى بقوله(أوتوا العلم)، فهم من منع من السقوط مع الساقطين في فتنة الدنيا واللحاق بالمجرمين لمالهم وبهرجهم.
فهذا هو شأن الثابتين على الحق عند وقوع الفتن والغمرات: من جمع بين العلم واليقين، ولتقوية هذا الأمر لا بد من رؤية حركة التاريخ حتى تعلم من يبقى ومن يزول.

الشيخ أبو قتادة

لحظات مع القرآن/٢١
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فسورة النجم هي سورة العلم ووسائله ومضلاته،من تفكر فيها وجد معالم ارساء قواعد العلم ، وما هي مضلاته وموانع حصوله، وموانع تبليغه على وجه وضوحه في النفس.
قال تعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى) والضلال عدم إصابة الحق وغيابه عن القلب والنفس، والغواية تنكب النفس في سلوكها عن متابعة الحق بعد معرفته، فهذه معوقات وموانع حصول ارادة الطريق الحق ، تنشأ بهذين السببين، إما أن لا تعرف النفس الحق ابتداءً فتضل ، وإما أن تعرف الحق في نفسها ولكن الغواية- وهو ما ستشرحه السورة بعد ذلك، تمنعه من سلوك الطريق مع ابانته فيها، فهذان مانعان من موانع اتباع سبيل الحق والهدى.
تبقى مسألة تبليغه؛ أي بعد حصول الحق في النفس علماً وإرادة، فقال تعالى(وما ينطق عن الهوى) فأن المرء قد يكون عالما بالحق في نفسه لكنه لا يبينه للناس على هذا الوجه، بل يبينه على وجه مخالف بسبب الهوى، وهو اتباع شهوات النفس، والهوى أعظم موانع اتباع الحق بعد ظهوره.
ثم بينت السورة وسائل العلم الصحيحة، فقال تعالى(إن هو إلا وحي يوحى) وهذا أعظم وسائل العلم الخبري والأرادي كما قال تعالى(وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) فأما الصدق فهو

في الخبر ، وأما العدل فهو في العمل، وهذا إقرار جديد على ما تعرفه العرب والبشرية، لا يعرف إلا من جهة النبوة.
ثم بين واسطة هذه الوسيلة، فذكر جبريل عليه السلام فقال سبحانه(علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى).
فقد يكون المصدر صالحا في نفسه ، ولكن الوسيلة الموصلة إليه غير أمينة كمن يأخذ الماء من مصدره، فإن حمله خلط به وأفسده.
ثم تحدث القرآن عن أعظم وسائل حصول العلم في البشر فقال سبحانه(أفتمارونه على ما يرى) فجعل الرؤية مصدرا يقينيا لحصول العلم، وهذا ما حصل لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) ، ثم ذكر مفسدات الرؤيا، وما يدخل عليها من الغلط فقال سبحانه(ما زاغ البصر وما طغى) وزيغ البصر هو ابتعاده عما وجه إليه من النواصب والأحداث والشواهد، فتذهب العين إلى غير جهة الصورة والشاخص فلا تراها، بل تغيب عنها، وأما الطغيان فهو تضخم الصورة على غير وجهها الصحيح، فهذان أعظم بل هما فقط موانع الرؤية الموافقة للحق، فإما أن تبتعد العين ولا تشهد فينقص العلم، وإما أن تشهد الشيء لكنه يتضخم ويزيد عن وجهه الصحيح.
وللحديث في العلم كما هو في سورة الفجر بقية ان شاء الله تعالى.

لحظات مع القرآن/٢٢
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه
أما بعد
فجمعت سورة النجم طريقي العلم ؛ الرؤية بشروطها، والرواية بشروطها ، ثم ذكرت السورة القياس الصحيح، وما يضاده، وهو مبتدأ بقوله تعالى(أفرأيتم اللاة والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الأنثى) وهذا منتهى فساد القسمة في الوجود، ولذلك رد الله تعالى عليهم بقوله(فلله الآخرة والأولى) ، فمن كان كل شيء له فلم تجعلون له ما تكرهون كما قال تعالى(ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب) ،فشرط الصواب في القياس الحاق النظير بالنظير ومعرفة كل واحد ما يستحق من النسبة ، من صفات وملك، ومخالف ذلك يقال له ما قال تعالى(تلك إذا قسمة ضيزى) أي ظالمة.
والعدل في العلم أهم من العدل في العمل، فإن العدل في العلم هو باب العدل في كل أبواب الحياة، وكلمة العدل

مأخوذة من عدل الدابة، وذلك حين يوضع خرجين على ظهرها، فلا يستوي مشيها ولا تقوم إلا بأن يستوي كل خرج وعدل فوقها مع ما يقابله، وبهذا سمي تساوي الأمور عدلا، ومن جعل لله شبيها فقد جعل له عدلا وهذا هو الشرك كما قال تعالى (ثم الذي كفروا بربهم يعدلون) أي يجعلون له عدلا أي شبيها على أحد أقوال أهل العلم، وقيل يميلون، أي عن السبيل والحق.

وإدخال الميزان في العلم مهم في كل الحياة، وبه يتم التوحيد والاتباع ، ومعرفة واجبات كل أمر وقضاء.

ثم تحدثت السورة عن معوقات إعمال هذا الحق، أي العدل ، فقال الله تعالى(إن هي إلا أسماءً سميتموها ما أنزل الله بها من سلطان) ومن المعلوم أن الأسماء لا تكون إلا للحقائق، والحقائق منها ما هو معنوي كالأخلاق والقيم والتصورات، ومنها ما هو كوني، كالجبال والجنة والنار ، فالأسماء تبع الحقائق، ونشوء أسماء بلا حقائق هو الكذب، فإن كان في التوحيد كان شركا، وإن كان في التكوين كان وهما، وبداية ضلال الخلق في تغيير الأسماء، كما أن بداية قوام خلافة آدم للأرض كان بقوله تعالى (وعلم آدم الأسماءكلها) ومصدر قوة الإنسان وخيريته العلم، فجاء إبليس إليها وأفسدها ، كما قال تعالى(هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فسماها بغير اسمها، وهذا هو أصل الشر، فأصل عبادة الملائكة هو جعلها إناثا، وهذا كذب وافتراء وقول على خلق من خلق الله تعالى بلا خبر ولا رؤية، كما قال تعالى في الزخرف(وجعلوا الملائكة الذين عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم، ستكتب شهادتهم ويسألون) ، ثم يتطور التصور للغيبيات حتى تعبد من دون الله تعالى لما ينسب لها من أمور هي ناشئة بعد غلط الأسماء، كما قال تعالى(ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) وكذلك في قوله تعالى(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم)، والقصد أن العلم الصحيح يحتاج إلى الإسم الصحيح، وقد يدخل الخطأ على العلم بدخول اللفظ الغلط، وبهذا تعلم أن اللغة ليست أداة إبانة فقط بل هي وسيلة تصور ، وهي من ضرورات العلم ومقوماته.

وللحديث مع السورة بقية ان شاء الله تعالى.

لحظات مع القرآن/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه إلى يوم الدين

أما بعد

وكان الحديث عن غلط اللسان وربطه بالتصور في قوله تعالى(ان هي الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله

بها من سلطان) بعد بيان غلط اللسان في قوله (وما ينطق عن الهوى) فغلط اللسان يكون دليل فساد التصور ، ويكون بعد صحة التصور وعدم البلاغ عنه كما هو في النفس،
فاكتمال صحة العلم يكون بصحة الدليل وصحة العقل والعدل فيه وصحة اللسان المبلغ عنه، فهذه كلها مقومات العلم الصحيح ولا شيء غيرها.
وهذه أي الحقائق والإخبار عنها ومصدر أسمائها لا مصدر لها إلا من الله تعالى كما قال سبحانه عن ضدها(ما أنزل الله بها من سلطان)، فهذا إخبار عن المرسل، وفيها وسائط الرسالة وهو جبريل ومحمد عليهما السلام، فلم تترك السورة أمرا من العلم إلا وأحاطت به.
ثم أتت السورة على جماع الشر المبطل للعلم فقالت(ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) ، والظن يضاد العلم من جهة عدم إدراكه في نفسه، ، والهوى يضاد العلم بعد وجوده في النفس، فلا ينشأ غلط إلا بواحد منهما أو باجتماعهما، كما أن الظن يضاد العلم ، والهوى يضاد الإرادة له بعد ادراكه،
وهذا ربط قرآني بين العلم في النفس ونشاط الارادة له، فلا يسمى المرء في دين الله عالما بلا عمل، ومن تفكر في الآيات التي ورد فيها ذكر أهل العلم وجد أن أغلبها يكون في الحديث عن الآخرة ، كما في المواطن التالية:
-- في سورة النحل قال تعالى(ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم ، قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين)، فعلم حضور أهل العلم يوم القيامة بما كانوا عليه من اليقين على هذا اليوم.
-- في سورة الروم قال تعالى(وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث)،فكانت شهادتهم فيه كالأولى.
-- في سورة الإسراء قال تعالى(إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)
وهذا كثير لمن تأمله.
وجعل الله مقابل هذا الشر المحيط بالعلم والإرادة شيئا واحدا يجمع خصال الخير علما وعملا فقل سبحانه(ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ، فالهدى يكون في العلم كما يكون في الإرادة، ولا يحصل تمام الهدى الا بتوافقهما مع الأمر الإلهي التزاما قلبيا وعملياً.
ثم جاءت السورة إلى مفسد عظيم يتعلق بالتحصيل لهذا الهدى، وهو ما سنأتي إليه بعد إن شاء الله تعالى.

لحظات مع القرآن/٢٤
بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فإن أعظم معوقات الطلب العلمي والأرادي وهو سبيل إبليس في صرف الناس عن طلب المعالي إنما هي الأماني، وهي الظن أن نشوء الرغبات في النفس موصل للمطالب دون السعي إليها من خلال سبلها السننية التي جعلها الله أسباباً لها، ورغبات النفس وأمانيها كثيرة، ولكن ليس كثرتها موصل للمراد بل السعي بالعمل هو الموصل، ولذلك قال تعالى في هذه السورة أي النجم، (أم للإنسان ما تمنى) وهذا سؤال استنكاري، فإن الله نفى أن تكون الأماني هي الكفاية في البلوغ، كما قال تعالى(ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً،ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)، والذين يظنون أنه بمجرد حدوث الأماني في النفس تقع في الوجود هم أهل الغفلة والوهم والجهالة، حتى لو كانوا أهل اعتقاد على الغيب صحيح، لأن عالم السنن في الدارين دل على عدم وقوع شيء الا بسبب قدري أو شرعي ملائم له، يعلم من خلال النظر أو الخبر، ولذلك جاء نفي أثر الأماني بعد ذكر ما تقدم من العلم والعدل، وهذا تقعيد رباني لأسس البحث والاعتقاد ووقوع الأفعال، وهو ربط الحوادث بأسبابها القدرية والشرعية، ومن أعظم مهلكات الإرادات وهي من الأماني التسويف، وهو باب الشيطان الأكبر في هذا الباب.
ثم جاءت السورة إلى باب آخر هو من مفسد في للعلم والعدل ألا وهو ظن شفاعة الغير لبلوغ المراد، فقال تعالى(وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاءويرضى)، ذلك لأن الكثيرين من البشر يظنون صلاح أنفسهم لبلوغ الغايات بسبب صلاح آبائهم لذلك، أو بسبب صداقتهم لنافع قد وصل لمراده في الطلب، فابن الشيخ عندهم شيخ كما ابن الصالح صالح، وابن العالم عالم، ويعلقون نجاتهم على غيرهم ، وهذا شر ابليسي وقعت فيه قريش واليهود والنصارى وكثير من المسلمين،فلا يبلغ المرء في عمله ولا في علمه إلا بسعيه هو، كما قال تعالى بعد ذلك في هذه السورة(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى)وحين تقع الشفاعة له من غيره فإنما هي بإذن الله تعالى، والله سبحانه هو العدل الحكم وهو الرحيم الغفور، فلا بد من وجود موجبها في العبد ليستحق وقوعها عليه.
فهذان معوقان لحصول العلم والعدل في الإنسان: الأماني وهي رغبات النفس، والصلات مع الآخرين من نسب أو قرابة أو انتساب،فكملت حلقات العلم كلها في هذه السورة

العظيمة، بيانا ومعوقات ووسائل وشروط وموانع.
وإن مما يجمع هذه السورة الجليلة مع أول سورة أنزلت وفيها بيان أسس العبادة وعلمها ووسيلتها في قوله تعالى(اقرأ) ثم جعلت الكرامة الألهية في هذا الفعل الإيماني ؛ أي القراءة،وهي وسيلة العلم، في قوله تعالى(اقرأ وربك الأكرم) أن ختمت السورة بما ختمت به هذا السورة كذلك، ففي الأولى قال تعالى(واسجد واقترب) فافتتحت بالقراءة وختمت بالسجود ، فيقع القرب من الله تعالى ، وهنا في هذه السورة ختمت بقوله تعالى(فاسجدوا لله واعبدوا).
وللحديث في هذه السورة بقية ان شاء الله تعالى

الشيخ أبو قتادة
لحظات مع القرآن/٢٥
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
ولما كان العلم في هذا الدين دين، وكان الإنسان كلاً واحداً ، وكان العلم هو انطباع المعلوم في النفس، كان جلاء النفس ومرآتها هو أعظم ما يحقق العلم الصحيح، ذلك بأن أي سوء يقع على مرآة النفس ينطبع سوءاً على المعلوم الواقع عليها، ولهذا كان الصلاح والتقوى وخشية الله وذكرى الدار الآخرة هو ما يحقق جلاء مرآة النفس ليقع عليها الصورة الصحيحة بلا تغيير أو تبديل، ليتم الإخبار عنها بعد ذلك على وجهها الصحيح ،ولذلك جعل القرآن في سورة النجم الرؤية منسوبة للقلب، كما في قوله تعالى(ما كذب الفؤاد ما رأى) ، فالشأن هو إصلاح هذا الرائي، وما العين إلا وسيلة له، وإنما العبرة به، وهذا شأن العلم، ولذلك قال تعالى في هذه السورة أي النجم(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) فجعل علة الجهل غياب معنى الدار الأخرة عن القلب، ولذلك أفاض بعد ذلك في السورة الحديث عن الطاعة جاعلاً عطاياه سبحانه تعالى ومنها العلم الذي تحصل به الولاية ولا طريقة لولاية الرحمن إلا به مربوطة بالإبتعاد عن مفسدات مرآة القلب والنفس فقال سبحانه(ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذي أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) ، وإن من أعظم مفسدات الوجود علماً وعملاً هو الغرور ونسبة الإنسان نفسه للمعالي دون الخلق مما يورث الترفع والفساد ولذلك قال تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ، وتأمل كيف جمعت السورة بين الكذب وبين ترك الطاعة في قوله تعالى(أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى) ، ذلك بأن

الكاذب أول ما يهلك نفسه بإفساد مرآتها ، كما في الحديث (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) وإنما الثوب الأول يكون حاجزا عن نفسه من رؤية الشيء على حقيقته كما هو في الوجود والتقدير الإلهي، ومن مارس هذا الفساد على مرآة قلبه ونفسه صار كاذباً لا يصدق ، ولا يقع هذا إلا لأن عين قلبه صارت معطلة أو فاسدة، ولذلك في الحديث(وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) ، وهذا ليس فقط في الحكم ولكنه كذلك في القدر والتكوين ،وقد تقدم أن من العلم السليم إبلاغه على الوجه الصحيح، في قوله تعالى(وما ينطق عن الهوى) .

هذا وإن من أعظم بلوغ الرجل مبلغ العلماء الصادقين أن يأخذ هذا العلم على وجه التعبد ، ومعنى هذا أن يتعامل معه تعامل الجد الذي لا هزل فيه، وتعامل الناظر بأثره على حياة المرء بعد الموت خصوصا وما قبل الموت كذلك، ولذلك عاب سبحانه على اللهو مع هذا العلم وهذا الدين فقال سبحانه(أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أي لاهون.

والسورة فيها الكثير من العلم وأصوله غير ما تقدم لمن أعمل النظر فيها، وإفاضة القرآن الكريم في بيان هذا الجانب مبكراً، والسورة من السور المكية كما هو معلوم، يدل على اهتمام القرآن بمنهج العلم وأصوله، لأن صناعة العلم على وجه صحيح يعني صناعة الإنسان، والقرآن هو كتاب صناعة الإنسان.

اضاءة:

بعد أن ذكر القرآن في هذه السورة قسمة المشركين بأن جعلوا لله ما يكرهون كما في قوله تعالى(أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى) إذ جعلوا قسمتهم هذه مبنية ابتداءً على الجهل ، وثانيا عما تشتهيه انفسهم من محبة الولد دون الأنثى، فقال سبحانه وتعالى(ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) فهما باعثا هذه القسمة، لكن لما كانت التسمية للملائكة تسمية الانثى كان هذا الفعل خالياً من الهوى ، وإنما مصدره الجهل فقط ، فقال سبحانه وتعالى (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) قال بعدها سبحانه وتعالى (ان يتبعون إلا الظن).

فرد القرآن على الأولى لأنها قسمة الهوى والجهل ، ورد القرآن على الثانية لأنها تسمية الجهل. وهذا لمن تأمله من الميزان الصحيح في الحكم حتى على المخالف، والله أعلم.

٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة على رسول الله ومن والاه إلى يوم الدين

أما بعد
فقد وردت كلمة حزب الله في موطنين من كتاب الله تعالى، أولاهما في سورة المائدة في قوله تعالى(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ، وفي سورة المجادلة في قوله تعالى(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم،أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون).
ومما يلاحظ أن الموطنين كانا في سياق الولاء والبراء، فسياق آية سورة المائدة فيما سبق كان في البراءة من الكافرين حيث افتتحت بقوله(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ، وأما ما ورد في المجادلة فبين من الآية نفسها التي تقدمت، ذلك بأن الحزب الرباني قوامه قوة داخلية هي موالاة المؤمنين على آخية الحب في الله ، وقوة خارجية عمادها البراءة من المشركين والتي تقوم على أساس البغض لهم، فيهذا يحصل مقاصد الحزب، وكلمة الحزب تحتوي معنى الشدة، كما تقول فلان حزبه أمر، أي أهمه وأتعبه، فلما كان مقصد هذا هو الجهاد ، وهو من الشدة والقوة فإنه لا يقوم له إلا هذه الطائفة التي حوت هذين المعنيين، من بغض الكافرين ومحبة عالية بينهم لا تنفصم لقيامها على الحب في الله الذي لا ينقطع بسبب دنيا او شهوة.
وسباق سورة المجادلة أي ما سبق فيها من الحديث كان عن علم الله بخفايا الناس وما يبطنونه، فكان الحديث عن النجوى وأحكامها ، وسبقها الحديث عن العلم الإلهي في سياق علمه بما تكلمت بها المجادلة عن مسألة الظهار ، فكان الحديث عن الولاء بعد ذلك مناسباً لهذا من أمرين؛ أولاهما أن الولاء أصله أمر قلبي ، وهو علاقة خفية بين العبد وربه، والخيانة للمؤمنين تنشأ في الخفاء، وهي تضاد الولاء وتنقضه، ولا يمنع المؤمن من إتيان هذا الفساد إلا علمه بأن الله يعلم سره وخفاءه، فكان مناسبا أن يذكر أمر الحزب القائم على الولاء في سياق علم الله تعالى لما يخفي العبد.
وثانيهما: أن الأحكام الداخلية في الجماعة المؤمنة يقابلها على العموم في القرآن ما يجري من أحكام خارجية مع الأعداء، وهذا بين في سورة الأحزاب، فقد جاء بعد تفصيل غزوة الاحزاب وما جرى فيها حديث عن البيت النبوي الشريف ، وما فيه، وأحكامه ، وما يصلحه، فهذا وجه مهم في مقابلة الوجه الذي يقابل المسلمون فيه أعداءهم، لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر.
وهذا يفتح باب البناء القرآني لسورة النور، حيث جاء ذكر

الإستخلاف فيها بعد الحديث عن احكام المرأة والرجل ، وما يترتب على المؤمن من احكام في هذا، وهذا يجعل للحديث صلة ان شاء الله تعالى.
اضاءة: ان تأملت هذا المعنى الذي ذكرته لك في بيان سبب ورود الولاء والبراء في يورة المجادلة وجدت السبب الذي خص فيه حزب الله تعالى بحكم الفلاح، كما قال تعالى (فأولئك هم المفلحون) لأن الأمر أمر علاقة ربانية، وعطاء إلهي بسبب الخوف منه ، ومراقبة عينه جل في علاه، وأما ورود كلمة الغلبة في سورة المائدة فلما يقابلها من ذكر اليهود والنصارى ،وشأن العلاقة معهم ومع المشركين هي الجهاد ، فلاءم ذكر الغلبة دون غيرها.
هذا ولعلة اخرى والله أعلم، وهي أن الغلبة قد ذكرت قبل في سياق هذا الأمر في نفس السورة في قوله تعالى(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وحين يفرغ القرآن من ذكر شيء في السورة الواحدة فإنه لا يكرره بل يأتي بتأسيس علم آخر غيره ، كما في مواطن متعددة منه، ومثاله ما ورد في البقرة من قوله تعالى (والعاكفين) وفي سورة الحج(والقائمين) ذلك لأن العكوف قد فرغ منه في سورة الحج بما تقدم من قوله تعالى(الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) فذكر العكوف فلم يأت اليه بعد بل ذكر جديدا وهو القيام، وكذلك قدم زكريا عليه السلام ذكر كبره في سورة آل عمران على ذكر العجوز اي زوجه، وفي سورة مريم ذكر عجزها قبل كبره ، ذلك لأنه قدم العجز قبل في قوله تعالى عنه وهو يناجي ربه(قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) ، فحيث تقدم ذكره لم يجعله رأساً في الخطاب.

لحظات مع القرآن/٢٧
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فقد حوت سورة المائدة العمد الداخلية لحزب الله تعالى، وهو رد على الذين يريدون التجميع بلا دين ولا تقوى، ورد على من يريد بيعة الناس على الرجال والأسماء بلا معالم الدين والهدى، وهذا غلب على المتأخرين ، وفي زماننا صار أكثر ، فإن الحزب الإلهي الذي يستحق النسبة له جل في علاه لا يكون كذلك حتى يكون أساس الصلة بين الناس فيه هي القائمة على عبوديتهم لرب العالمين، ولذلك قال تعالى في سباق قوله وإخباره عن حزب الله تعالى(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة

وهم راكعون)، وحين أخبر جل في علاه عن صفة الوارثين لحكم الأرض قال تعالى في سورة الحج(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)، وكلما زادت هذه الصلة أي التي بينهم وبين الله تعالى زادت صلتهم حبا لله تعالى وزاد حب الله تعالى لهم ، وبهذا يوضع لهم القبول في الأرض، ولا يفر الناس منهم هرباً من بطشهم وسوء دينهم وقسوتهم على الخلق، فلا يعرف في تاريخ الأمة أن هرب الناس من حكم الشرع حين يروه ويرون رحمته وشفقته عليهم، وإنما يهربون من الجور والظلم وسوء دين الناس، ولذلك جعل الله تعالى صراخ الناس طالبين الجهاد هم، لا هاربين منه، كما قال تعالى(ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساءوالولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا) وهذه الآية رد على من زعم أن الجهاد يفسد حياة الناس، نعم هو يفسد حياة المترفين واللصوص والملأ القذر الممتليء بالشر والربا والسرقة وظلم الناس، وهؤلاء يهربون من حكم الله لأنه يقتص منهم ،وأما الفقراء فلا يخسرون أبدا بالجهاد إن قام على سوق صحيحة ، لأنه يقضي على الظلم ويرد الحقوق لأهلها، كما يجد الفقراء بهذا الجهاد سعتهم وحياتهم ورزقهم من أموال الظلمة الكفرة.

والقصد أن حزب الله الذي يستحق الوراثة هو من كثر في أهله التعبد والصلاح والتقوى، فمثل هؤلاء هم من يجعل الله في قلوب الناس لهم الحب، ويوضع لهم الرضى والقبول، وهؤلاء إن تمكنوا وجدوا القبول من الناس، فحموهم وأحبوهم وصاروا هم معهم كما صار هذا مع أصحاب رسول الله تعالى.

وذكر السورة حال الزكاة مع الصلاة ذلك لاتحاد الفعل وارتفاقه معا في قلب العاملين من أهل حزب الله تعالى، مع ما أخبر سبحانه قبلها بقوله(يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ، فتأمل هذا الرفق بالمؤمنين حتى وصفوا بالذلة وهو وصف لا تأنس به النفس في المطلق، لكنه محبب إلى الله تعالى مع المؤمنين، فهم أذلة عليهم.

تأمل هذا وانظر الى من يزعم أنه ورث حكم المسلمين، وكيف هو يضرب أول من يضرب الفقراء، ويسب العلماء ، ويقتل المسلمين في أول الفعل قبل غيره.

بهذا تستطيع أن تعرف من يستحق الدخول في حزب الله، ومن يضاده من حزب الشيطان على اختلاف درجاتهم ومنازلهم.

لحظات مع القرآن /٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فمن المعلوم أن أفضل طريقة لتفسير القرآن أن تفسره بالقرآن، ومن صور هذا الفعل أن لا تفسر اللفظ خارج معناه القرآني، وهذا لا يقع منك إلا بجمع الآيات في اللفظ الواحد والمعنى الواحد في صعيد واحد لتعرف مراد الله منها، ومن هذه الصور:
-- في سورة النحل تعجب من ذكر الفاصلة القرآنية للآية في قوله تعالى(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) ، فتتساءل ما مناسبة هذه الفاصلة(لغفور رحيم) مع نعم الله تعالى في قوله(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، فإنك تجد الجواب في سورة ابراهيم ،وهي متقدمة في ترتيب المصحف على سورة النحل، وفيها قوله تعالى(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) فكان قوله تعالى عن الإنسان(ظلوم كفار) هو واسطة الحكم الموصل لقوله(لغفور رحيم) فهذا وجه من وجوه التفسير، ويمكن أن تحمل السورتين على حالين مختلفين، وهذه طريقة ابن عباس رضي الله عنه في أجوبته على أسئلة نافع بن الازرق ، وهذه لها شرح آخر.
-- ومن ذلك تعجبك لذكر اليهود والنصارى والصابئين في سورة البقرة بعد قوله تعالى عن اليهود(وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فتجد جواب هذا التعجب في سورة آل عمران في قوله تعالى(ليسوا سواءً ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقد جاءت بعد قوله تعالى(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)،فعلمنا أن المراد نفي تساوي الناس في ما تقدم ذكره ممن ذموا، وأن فيهم من يستحق المدح، فلذلك ذكر في ختام قوله(إن الذين هادوا،،) التي في سورة البقرة قوله تعالى(فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)، فهو نفس معنى قوله تعالى(ليسوا سواءً) وهذا وجه من وجوه تفسيرها.
-- ومن ذلك فصل الخطاب في كلمة الزينة في القرآن انهاءً إن قدرت لاختلاف العلماء في قوله تعالى عما يحرم للمرأة إبداءه في قوله تعالى(ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) بأن كلمة الزينة في القرآن أتت لما يزاد على الشيء تحسينا له، كما في قوله تعالى(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ومقصودها هنا الثياب ستراً للعورة، وقوله تعالى(ولا يضربن

بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) والمقصود حلية المرأة لرجلها، وقوله تعالى(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) ، وهي أمر زائد عليهم، ويمكن الاعتراض على هذا بأن الآية نفسها من سورة النور ذكرت موطن الزينة باسمها كما في قوله تعالى(ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) والمقصود هنا موطنها، وتسمية الشيء بما يلاصقه وبمكانه معهود في كلام العرب.

والقرآن نفسه يدعو لهذه الطريقة وذلك بإحالته في آيات فيه على آيات اخرى، إما إحالة كاملة كما في قوله تعالى(وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) من سورة النحل، فإنه أحال على سورة الأنعام في قوله تعالى(وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر،،،،) الآية، وإما إحالة جزئية لتعيد التذكير والتنبيه مع معاني اخرى كما في قوله تعالى(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) وهذا التنزيل الذي نبه عليه كان في سورة الأنعام وهي مكية والآية التي تقدمت في سورة النساء وهي مدنية، قال تعالى(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنافأعرض عنهم حتى يخوضوا في خديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وهذه الإحالة حملت معاني أخرى لم تذكر في الأصل، ومنها حكم الجالس مع المستهزيء بآيات الله في قوله تعالى(إنكم إذاً مثلهم) وغير ذلك من أمور.

وقد يقع بعضهم في خطأ الإحالة هذه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة الفتح(سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم، يريدون أن يبدلوا كلام الله، قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل) فظن بعضهم أن هذه إحالة على قوله تعالى في سورة التوبة(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدواًإنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) فهذا خطأ لأن سورة التوبة متأخرة في النزول عن سورة الفتح التي نزلت في صلح الحديبية، والتوبة في غزوة تبوك.

لحظات مع القرآن/٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

الفرادة الإنسانية هي التي تصنع أنوار الوجود، وبها يتم ترداد الله تعالى للملائكة قوله(إني أعلم ما لا تعلمون) ذلك لأنهم

يرون في هذا الإنسان غير ما قالوه فيه(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، ومن خلال حضور صورة الإنسان الإيماني الذي لا يأبه بشيء من موانع الوجود لحضور إيمانه ولا لاتباعه للحق تسير رحلة الإيمان وهي تتهادى بين الكثرة المعرضة كما قال تعالى(ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين).

في سورة غافر تقفز صورة الفرادة أمام طاغوت فريد في الوجود، وأمام ملك قاهر بين يديه، مدجج بالكذب والصولجان، ومتترس بالجنود والأعوان، هناك يبرز الإيمان في صدر رجل تبدأ رحلته مع الكتمان، كما قال تعالى(يكتم إيمانه)، ولا تلبث هذه القوة التي تأسره لأنها حق في نفسها ، لا لمعونة خدع تؤثر فيهاوتزينها،أن تتدفق بالكلمات، هي حروف انسانية في ظاهرها،لكنها تحمل معاني الإيمان ، والتي هي أرقى ما في الوجود جمالاً ، وأعظم ما في التاريخ تأثيراً، وأصدق ما نطقت به الألسن، وأعظم من مات الناس من أجله.

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)

هذه الكلمات خرجت عندما تدفقت كلمات موسى قبلها يستعيذ بالله من مكر فرعون وجنده،(إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)، فتحدث ذكرى الدار الآخرة عملها في نفسه، وموسى عليه السلام سيد الكلمة، ويحسن صرفها على وجه يلائم كبر المخالف،ويجعلها قذيفة تذهب ما في صدره من تعاظم كاذب، فكلماته نور فاضح لدواخل النفوس مع نفسها،فتأمل قوله للسحرة وهم يخططون لكيدهم ومكرهم(ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى)، فهذه وإن كانت في صورة الكلمات ،لكنها والله أشبه بالحمم وكرات النار وهي تسير إلى آذانهم فتزعزع القلوب لهولها، وتهد بنيان الباطل فيها، فيخبرنا ربنا جل في علاه ما أحدثت هذه الكلمات وراء أسوارهم المنيعة وهم يسرون لأنفسهم الباطل(فتنازعوا أمرهم بينهم) وكما تصنع قنابل النار في الجموع من تفرق أحدثت هذا كله كلمات الكليم عليه السلام، حقاً لقد استجاب الله دعاءه عليه السلام وهو يقول مناجياً ربه(واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) لا يفهموه فقط، ولكن ليكون لهم مثالاً حاضرا في قلوبهم أشد من حضور الموت عليهم، إنه الفقه بها.

كلمات هذا الرجل الصالح الوحيد من بني قومه تعلن انحيازه للحق، وتعيد لهم مقومات العدل في الوجود، وتنبههم على ما فيهم من غفلة أن ربهم الله، وهذه الكلمة التي كررها الكليم مرتين قاصدا وهو يقول(بربي وربكم)، ذلك لأن الخبيث لم ينازع الله تعالى في ألوهيته فقط لكنه قال لغروره(أنا ربكم الأعلى) وفرعون يعلم معنى ان يقول الكليم والرجل الصالح

أن الله ربنا، لأنها تعني في نهاية الصراع الى سقوط الوهيته كما قالت له جموع الملأ التي تتقن التزلف والنفاق والضرب على وتر الطاغوت ليستجيب لمطالبهم، (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك)،فهم ليسوا حوله إلا ليخرجوا على ألسنتهم ما يقوله قلب الطاغوت، ليبدوا للناس بعد ذلك أنه مستجيب لطلب الأمة وحاجاتها ونوازعها ، كما قال لهم(ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) فقد جعل قتله امتحانا لموسى عليه السلام في ادعائه ان له رباً آخر هو الله فقال الخبيث(وليدع ربه) ثم هو ضرب على وتر مصالح الملأ في قلب صور أفعالهم الفاسدة(يظهر في الأرض الفساد) وكأن ما عليه هذا الطاغوت هو الإحسان أيما إحسان، والصلاح في أفقه الأعلى، وهي سيرة متبعة مع كل الطواغيت، إذ تأمل انحطاط قوم لوط وهم يعيدونه للقوانين والحق الذي يعيشونه عندما رفضوا عرضه بالزواج من بناته(لقد علمت مالنا في بناتك من حق) ، وأنت لك الحق أن تعجب كل العجب كيف لهؤلاء السفلة أن يجرؤوا نطق كلمة الحق الجميلة هذه على السنتهم السافلة القبيحة.
إنه منطق العهر السياسي والدستوري والقضائي في الوجود الذي يمثله هذا الملأ المسيطر القبيح.
هذه الكلمات(وقد جاءكم بالبينات من ربكم) تبين أن الكتمان بدأ بالإنحسار، ذلك لأن المعركة هنا معركة كلمة، ومعركة الكلمة لا يصلح معها الكتمان ، ومهما حاول صاحبها الستر والتخفي فإن الكلمات عناوين النفوس والقلوب، وهي كاشفة الأسرار والمغاليق.
موسى يقول (ربي الله) والكلمات البينات جاءت من (ربكم).
هكذا يوزع هذا المؤمن الحكيم خطته، ويحسن استخدام سلاحه العظيم ليهدم صروحهم النفسية الممانعة.
مع سورة غافر تبدو قصة الفرادة الإنسانية في أحلى وأجمل وأوضح صورها، لكنها رحلة العلم القلبي ، والكلمة الرصاصة، والتنظيم الوجودي لمعاني القلوب.
ولذلك للحديث صلة

لحظات مع القرآن/٣٠
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين
أما بعد
ويواصل هذا الرجل المؤمن الخارج من ركام القبيلة والسلطان الكافر وقيم المجتمع الجاهلية ،كنبتة زهر وسط

جموع من الشر تتمالأ كفراً وكيدا، يواصل هذا الرجل عرض موازين الحق لقومه دافعاً إياهم إلى ما فيه خيرهم (وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) .
هذه يقولها بعد أن بين لهم أن ما جاء به موسى الكليم هو الحق، حيث جاءهم بالبينات من ربهم، لكنها كلمات التنزل في الخطاب والمناظرة، لتبين ادنى صور الحق، فهو يعرض الحق بين حديه، حده الأعلى أنه هو الحق الذي لا حق غيره، وحد الحق في ادنى درجات الصواب فيه، وأنه لو كان كذلك، لما جاز للعاقل إلا أخذه واتباعه، وهذا من تمام الإلزام للمخالف، وهو ينبيء أن الإيمان وعي ، وأن الإيمان ليس كما يقول الجهلة مجرد معاني نفسية لا تتسق مع العقل، أو أنه معاني قلبية لا يمكن التعبير بها ، والناظر الى قذيفة الإيمان وهي تغزو العقول يلاحظ الوعي العجيب على الحياة بمجرد النطق بكلمة التوحيد ، فتأمل هؤلاء السحرة الذين كانوا في أول النهار سحرة كفرة وفي آخره شهداء بررة، كيف صاروا بعد قذيفة الإيمان دعاة صدق تنطق ألسنتهم بالحكمة العالية الرفيعة كما في قوله تعالى جل في علاه عنهم(إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى،إنه من يأت ربه مجرماً فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتهاالأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى)، فالإيمان الذي يعرضه القرآن من خلال رجاله لا يعرض أبداً إلا بعقل عظيم ووعي يدل أن صاحبه يسبق غيره، لا بتلك الصورة التي يتصورها البعض من الجهل والغباء والعياية في الخطاب والحديث والعقل.
هذا الرجل الصالح يعرض الإيمان من خلال الرسول، ويتحدث عن القيم التي يحملها أولاً بقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فهي بينات تلتصق بالرسول وبشخصه، ثم هو يفرغ إلى الحديث عنه، وكأن الصراع على الرجل في تلك اللحظة اكثر من الصراع على المباديء، ذلك لأن قيم الإيمان أقوى من أن تكون مجال صراع ،لظهورها في النفس وبيانها الذي لا تستطيع الفطر رفضها، وهذا الرجل يعلم أن فرعون مشكلته نفسية اكثر منها عقلية، وكذلك الملأ من الأتباع، ولذلك هو يرتقي بهم كما سيتبين إلى أعلى من هذا، وكأن الصراع على الإمامة ومن المتبوع،فهنا يقول لهم(فإن يك كاذباً،،،، وإن يك صادقاً) فهو حديث عن الرسول، وشخصه، اذ تختلط الدعوة بالداعي لدرجة المماهاة التامة، فلا إيمان بالقيم دون حاملها.
في هذا الحوار حلقة غير مذكورة لكنها شاخصة في النفس لدرجة الوضوح الذي لا خفاء فيه، ويكون ذكرها من قبيل النزول عن درجة الخطاب العلمي العالي، فتأمل قوله(فإن يك كاذباً فعليه كذبه) ، فما الذي سيخسره آل فرعون حين

اتباعهم لموسى عليه السلام؟!
هب أنه كاذب في دعواه، فما الذي ستخسرونه، والسؤال الكامن في النفوس كم ستحققون من الخير باتباعه لو أن قوله الذي تقدم ذكره في ربط معالم دعوته مع الغيب لم يكن صحيحاً!
موسى الكليم يعرض دعوته بربطها بالآخرة، فهو يقول أن اتباعي بحقق لكم النجاة في الآخرة، ومخالفتها يعني العذاب فيها، فالرجل الصالح يقول لهم: هب أن أمر الآخرة لم يكن، فهل فاتكم الخير العظيم في الدنيا؟!
أي شر يعيشه هؤلاء القوم حتى استحكم على نفوسهم من سلطان هذا الطاغية حتى تكون تجربة الخروج منه بنفسها هي الخير؟!
هذا الكذب له وجه العقوبة على الكاذب،(فعليه كذبه) ، لكن ماذا سيكون شأنكم أنتم لو خرجتم من سلطان فرعون بدعوة موسى الكليم؟!
إنها دعوة مبطنة لهم أن هذا الكلام لو كان كذباً في نفسه بعدم الجزاء في الآخرة أن فيه الخير العظيم لهم بمجرد الخروج من سلطان فرعون وطغيانه.
إنها الجاهلية وقوانين الكفر وغلبة الطغاة حين تبسط سلطانها على الناس فتفسد عليهم عيشهم ونفوسهم، اذ تشاركهم في أموالهم ، وتسبي منهم نساءهم بقوانين الأسرة التي تقنن كفراً ،حتى تصبح المرأة لغير زوجها بالقهر والفساد والإفساد، وحين تؤخذ الأموال ظلماً من جيوب الناس باسم القانون، وحين تقيد حريات الناس حتى يصبح المرء خائفاً وهو يتحدث تحت لحاف بيته خوفاً من مسالحة فرعون، وحين تصبح الحياة مجرد طعام وشراب كحياة الحيوانات، فيكون فيها اللص هو سيد الناس، والماذب هو خيرهم ومقدمهم والخائن الذي يتقن التزوير هو من يشار إليه بالبنان، وتقيد الكلمة وتنفلت الأخلاق من عقالها، فهذه بعض ما يمكن أن تراه من حياة الناس تحت هذا الفرعون، والرجل الصالح يفهم هذا فيقول: هب أن الكليم ماذب، فعليه كذبه، لكن هل ستخسرون باتباعه حين تؤمنون بما يدعوكم إليه.
إنها صياغة الحياة على وفق الدار الآخرة، لأنها هي فقط ما تحقق سعادة البشر في حياتهم.
اضاءة: كل دعوات الأنبياء جاءت للملأ قبل غيرهم ، مع أن أتباعهم هم من غير الملأ، لكن ترك دعوة الملأ وبيان استحقاقهم للعذاب اشتغالاً بدعوة الفقراء ليس من سبيل دعوة الأنبياء.
وللحديث صلة

لحظات مع القرآن/٣١
بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين
أما بعد
(وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم) كان مآل الكذب وفرضه أن يعود شره وعاقبته على قائله، أما صدقه وهو المحقق أن يكون خيره عليكم، وقد اتقن هذا الحكيم فن الخطاب والإقناع، يبدأ بهم بكون موسى على احتمال غير الصدق، ويأتيهم هنا بالتنزل أن يصيبهم(بعض) لا كل ما يعدهم، فأما الأولى ،فهي كابتداء الشاهد من أهل العزيز، حيث يشرع في صدقها لأن هذا الارجى والأحب إليه، فيقول(ان كان قميصه قد من قبل فصدقت) قبل أن يقول (وان كان قميصه قد من دبر فكذب) والكلام يظهر عما يطيش فوق النفوس، ويبينها جلية لا خفاء فيها، والأمر هاهنا كذلك، يبدأ باحتمال الكذب
ثم اذا جاء لصدقه لم يجعل كل ما يعده واقعاً يقينا بل (يصبكم بعض الذي يعدكم) وهذا ادخالاً للحق في قلوبهم في خفاء ويسر، وإتياناً لهم إلى الحق برفق دون مصادمة لنفوسهم التي استقرت زماناً على الباطل، وهذا لا يعني أن يمتد هذا الخطاب على هذا الوجه في كل مراحل الدعوة والمناظرة والإبانة، فلذلك قوله أي هذا الرجل الصالح(يصبكم بعض الذي يعدكم) انما هو من قبيل الخطاب الذي يحمل سامعه الى ادنى ما هو فيه، ابعاداً له عن الاثقال الذي تأباه النفوس، كما أنه إخفاء الانحياز التام لموسى، فهو يتكلم عن بعض لا كل حتى لا يكشف ما استقر عليه قلبه من الاتباع التام.
هذا قول الكثيرين، وقال بعضهم: إن بعض في لغة الخطاب الالهي عند العرب تطلق على الكل، واحتجوا لها بشعر ، ويقال هنا: هب هذا صحيحاً، لكنه لا يعني إزالة استخدام (البعض) لمعنى الكل تحقيقاً لما تقدم ذكره من معاني.
وهذا يدل على أن حملة الحق في ابتدائه أهل علم وفهم، وأهل وعي ودراية، يقذفون الحق بلغة الحكمة الرفيعة، فإن رأيت أن مبتدأ قوم هم السفهاء، وأن رؤوسهم الذين ينشرون أمرهم ويدافعون عنهم هم الحمقى، وأن لغة الرؤوس التي تهديهم هي لغة القبح والعياية فاعلم أن دين هؤلاء مدخول، وأن أمرهم على الضد من الحق بوجوه كثيرة، ولا مانع بعد ذلك من قيام أقوام على غير هذه الصفة بسبب لحوق الجموع فيها، لكن المصيبة ان تكون القطفة الأولى في هذه الجماعات هم السفهاء والحمقى، حينها تعلم من هم مع الحق والدين.
(انّ الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)
هذه حكمة التاريخ، وسنته، وهي ميزان الوجود، يرجع اليها كل

عاقل ليعلم الصادق من الكاذب، ويعلم المحق من المبطل.
هذا القانون السنني هو الذي جعل حكماء هذا الدين يعلمون أن أعظم دلائل النبوة هي نصرة الحق ، وأن عاقبة كل صراع بين الحق والباطل هي غلبة الحق، ذلك لأن الهداية في الوجود تؤدي لزوماً الى بقائه ودوامه واستمراره ،ولذلك كان هذا الميزان لا يكابر فيه الا مطموس العقل والقلب.
وللحديث صلة

لحظات مع القرآن/٣٢
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين
(إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)
هذه كلمة الرجل الصالح ، فيها ربط حركة الوجود بالغيب، وأن التوفيق والإضلال، بيد الله العظيم، وأن من أسباب البقاء هو موافقة الرضى الإلهي، كما أن أسباب الفناء معصية الله تعالى، فما يحصل من حركة في عالم الشهادة إنما هو بسبب حركة عالم الغيب، وسبب حركة الغيب إنما هو الطاعة أو المعصية من هذا الإنسان، فعلاقة عالم الغيب مع عالم الشهادة كعلاقة القلب بالشرايين، كما قال تعالى(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .
وربط الهداية بعدم الإسراف والكذب في موضوع الشهادة على الخلق ، والإبانة عن رب العالمين، يعني قيمة الكلمة وضبطها على وفق العدل والصدق،والعلماء وإن اختلفوا في معنى الإسراف هنا، إلا أن تفسيرهم إياه بالشرك حيناً ، وبالقتل حيناً ، ويذهب الطبري إلى أن اللفظ شامل للمعنيين، أقول : وإن اختلفوا، إلا أنه يبقى لكلمة الإسراف خصوصيتها حين يتكلم فيها القرآن، ولا يكون تفسيرهم إلا من قبيل تفسير الكلمة بالمثال، وإلا فهي في دلالتها أشمل من هذا كله، لبقاء معنى الإسراف حاضراً في شموله واتساعه، فحبس الهداية عن المسرف والسرف، وهي حركة فعل وقول، كما أن الكذب حركة قول وفعل ، يدل على أن الهداية الإلهية لإصابة سبل ما يحقق الإنسان من مقاصد لا تمر الا بهذين الضابطين؛ ترك الإسراف في شأن المرء كله، لأن الإسراف خروج عن العدل، وهو ميل جارح إلى جهة وإن كانت ضرورية للفعل ،ألا أن الضرورة للشيء لا تعني ترك ميزان العدل فيها، كشرب الماء للإنسان، فإن الإسراف فيه مهلك، وترك الكذب، وهو ترك الصواب في الخبر والقول.
والرجل الصالح يطلق هذه الكلمة العظيمة وذلك بعد ما قدم من ميزان الصدق والكذب، واحتمال وجود احدهما في خطاب الكليم عليه السلام على وجه الإلزام لقومه، فهو لم يسرف

في قوله، بل جعل كلامه قائما بالحق والعدل بلا إسراف،
وارجع متأملاً كلامه في ما تقدم(وإن يك صادقاً ... الآية).
اختيار هذا الخطاب في تلك اللحظة ولهؤلاء القوم يعني وجود الضد منهما فيهم، فهو ملأ الترف، وعلية القوم في الناس تعيش هذه الحالة اكثر من غيرهم من طبقات الشعوب.
ملأ الترف يعني الإسراف الذي يعيشونه شاملا لحياتهم المالية والعقلية، يقتلون بإسراف، ويتكلمون ضلالاً بإسراف، ويسرقون ليأكلوا طعاما بإسراف، وهكذا تمضي حياتهم تحت هذا الظل الشامل الفاسد: الإسراف.
ثم هم يعيشون بعد هذا في هذه الطبقة على الكذب، وهو فساد تصور قبل أن يكون فساد لسان، لأن المرء حين يكذب ويتحرى الكذب يفسد أول ما يفسد تصوره للأشياء والحوادث والكلمات، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ، والمرء لا يكتب هذه الكتابة إلا لوجود الصفة التكوينية فيه، ومن كان هكذا دل على فساد مرآة نفسه في داخله،فهو لا يرى الأشياء على حقيقتها وهو ينظر إليها،ولا يسمع الاخبار على حقيقتهما وهو يستمع إليها ، وهذا وإن بدا للبعض عجيباً لكن من خبر الكذابين رآه جلياً بيناً فيهم.
هل هذا حكم على قومه، وهو يخاطبهم أن سبب صرفكم عن الحق هو ما استمرأتم عليه من هذين الشرين العظيم؟!
هل يعني هذا أن هذا الحكيم يقول لقومه: لشر فيكم ، وهو شر عظيم، وصار لكم هذا الشر لصيقاً منعتم من الهداية والتوفيق لما يدعوكم إليه الكليم؟!
إن صح هذا وهو صحيح إن شاء الله علمت أيها الشادي توفيق الله وهدايته أن لا تسير وراء كاذب، ولا تقتدي بمسرف، ولو أعمل طالب الهداية والحق والرضى الإلهي هذا القانون لما أشرب فؤاده البدعة قط، ولما ضل في اتخاذ القادة والعلماء الذين يهدونه لأقوم السبل.
اضاءة: قال ابن عمر رضي الله عنه لمصعب بن الزبير وقد قتل آلافاً من أتباع المختار ، وهو من هو ؛ أي المختار: والله لو كان هؤلاء غنماً لكان قتلهم إسرافاً.
وللحديث صلة

لحظات مع القرآن/٣٣

الشيخ أبو قتادة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد(يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا)

ادراك الداعي إلى الله تعالى على حركة التاريخ وتقلب الزمان ضرورة علمية في دعوته وخطابه للآخرين، ذلك بأن الإنسان لضعفه أسير لحظته الراهنة، يذوب فيها، فتخترقه كأنه مجرد قطعة صماء لا يعي الزمان وسيرورته،فيتقلب فيها لاهياً غافلاً عما يجري من تجمع مغاير لما عليه في الأفق، حتى تأتيه لحظة أخرى كقطعة موج تقذفه إلى حال جديد.

(لكم الملك اليوم)

هذا حالكم اليوم، لكم الملك، فهل عقلكم ووعيكم على حركة الأمم يدعوكم للغفلة من حصول الإنقلاب للضد مما أنتم فيه.

لقد وقع الكثيرون في وهم نهاية التاريخ، وأنهم على خلاف الأمم السابقة، إذ علوهم غير العلو، وسلطانهم ليس كسلطان السالفين، والقرآن يقرعهم بقوله(أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) ، فأي خصوصية عندكم تمنع من لحوقكم بمن سبق من الأمم؟!

يخاطبهم هذا الرجل الصالح خطاب المشفق(يا قوم)، وهو لا يلغي ما هم عليه قومه الآن، بل هم لهم الملك، ولهم الظهور والغلبة على الناس والآخرين، لكن هل كل هذا دائم لا يزول، أم أن للزمان الذي تديره يد الله تعالى له قول آخر؟!

(فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا)

هاتان قضيتان يلقيهما هذا الصالح لقومه:

أولاهما تغير وتعاقب الدول والأزمنة والأحوال، وثانيهما أن هذا التحول إنما هو فعل الله تعالى، وهو يسر لهم أن ما هم عليه هو الشر، لأن البأس الإلهي لا يقع إلا على العصاة، وحين يقع الأمر الإلهي فلا راد له.

هذه الكلمات عجيبة من العجائب لما فيها من تقريرات سننية عظيمة، يفقهها هذا الداعي، ذلك بأن حركة التاريخ إنما يجريها الله تعالى على وفق الحسنة والسيئة، وحين تقع السيئة من الخلق فالقدر لا يرده راد بأن يُغلب هؤلاء، ولا محالة، (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا)،فهو صراع بين الله جل في علاه وبينهم، اذ غاب موسى عليه السلام في هذا

الخطاب، وكان قبل الحديث يدور حوله، صادقا واحتمال غير ذلك.

اذ هما خطابان؛ خطاب الهدى والدين بالحديث عن العاقبة ، وخطاب الهوى والشيطان بالنظر الى الحال والاستغراق فيه نسيانا لقادم الأيام(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)

انت تكون عظيماً حين تنظر لما يأتي ، ولا تذوب في لحظتك مهما كانت نعيماً او بلاءً .

إنها إحدى قواعد القيادة والعظمة في البشر فاحفظها.

٣٤
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
(قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)
لا يستطيع أحد أراد أن يقول قولاً شارحا فيه هذه الكلمة الفرعونية إلا وهو معرج على قوله: هذا منطق وحديث وقواعد الطغاة.
(ما أريكم إلا ما أرى) يعني إلغاء الإنسان الآخر، ويعني سقوط منطق البينات والدلائل، ذلك لأنه (أنا) هذه المنتصبة صنماً في داخل هذا الطاغية، هي التي ترى، وهي التي تنطق، فالحق كل الحق لها دون غيرها، والآخرون مجرد رعاع بهائمي يسير سير قطيع الدواب وراء رحل دابة لا تزيد عنه في شيء، وهذه الكلمة معلنة هنا من فرعون، يصرخ بها بلا خجل ولا وحياء، لكنها متخفية حين يكون الإنسان بلا قوة، وهي مستترة في نفوس أهل الغواية، لا يحبون أحداً معهم إلا من يتقن هذا السير أي سير قطيع البهائم، يحب أن يؤجر عقله الذي أكرم به، وبصره الذي يهتدي به، فيتساقطون وراء هؤلاء وهم في حالة لذة بهائمية تتيه وهي تشعر بالزهو أنها من جماعة القطيع لهذا الطاغية.
لا يستطيع فرعون هذا أن يقول كلمته لو كان هناك بشر أمامه تحترم إنسانيتها، وتأبى الخضوع إلا لمنطق البينات والدلائل، ولا تسير إلا من يخاطب خطاب العقل والرشد، لكن حين تكون الغواية والضلال، ويكون الشرك أو البدعة ترى هناك سوائم البشر والجهلة المصفقين الهاتفين بحياة الطاغية، وهم يلجون باسمه، يموتون من أجله، وهم في الحرص عليه أشد من حرصه على نفسه.

هذه الكلمة الفرعونية لا تظهر قبحه فقط، لكنه تظهر نوع الناس الذين يوجه إليهم الخطاب، فكيف لرجل يقف بينهم ليقول: إنه الرأي، فلا دلائل ، ولا عقل، وقد ارحتكم من التفكير والنظر، فأنا الذي أرى فقط، وليس عليكم إلا السير ورائي، وهم سكوت لا معارضة لقوله عندهم، بل تظهر هذه الحالات في التاريخ وفي يومنا أن الكثيرين من الناس يحبون هذا الخطاب، ويؤسرون داخله، لأنها نفوس استمرأت بيع عقلها، وأحبت مقامها في التقليد.
تأمل صناعة الهداة لطالب الحق عندهم، كيف يرسلونه إلى وادي النظر والبحث، ويرفعون له شارات الهداية واتباع وإعمال العقل، ثم انظر الى الطغاة ، وهم أجناس ورثوا كلهم على حسب وسعهم هذا المنطق وهم يضعون حبال القيادة في أعناق أتباعهم ليهتفوا هتافهم بلا عقل ولا بينة، ومع ذلك هم يبتسمون.
سبحان من قسم النفوس والعقول، ليهتدي أقوام ويضل آخرون.

لحظات مع القرآن/٣٥
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
الوعي على التاريخ صفة جامعة للمهتدين لهذا الدين هداية علم وفقه ونظر، ذلك لأن التاريخ وجريان أيامه وتقلب أحوال الناس فيه هو في باطنه نظر الى يد الله التي تحركه وتديره، وهي يد حكيمة تجري ما فيه وفق العدل والحكمة والإحسان، ومؤمن آل فرعون من هذا الصنف العظيم من البشر، يتحدث مع قومه عن تاريخ البشر مع النبوة، وهو في حديثه هذا يبلغ بهم إلى الآخرة، لأنها هي النقطة النهائية لهذا التاريخ وجريانه على هذه الأرض، فتأمل هذا الجرد السريع لمسيرة النبوة في تاريخ البشر في حديث هذا المهتدي:
--(وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد)
فهو دأب سائر لا يتخلف، وذلك تفصيلا لما تقدم من كلامه(وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم).
وهو يقول هذا رداً على كلمة فرعون الكاذبة،(وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ذلك ليقول لهم: إن كلمة الرشاد ليست وجوداً لفظياً يتلعب بها فرعون على لسانه، لكنها كلمة لا بد لها من حقائق ، فهي مع حقائق التاريخ لا تمت لها بصلة، فرشاد فرعون إنما هو الدمار والهلاك كما حصل للعصاة من أسلافه كقوم نوح وعاد وثمود،فأي رشد هذا تكون عاقبته الهلاك؟!

-- قوله(ولقد جاءكم يوسف بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب)
ويقول أهل العلم بالتفسير أن هداية أهل مصر لدعوة يوسف عليه السلام وقد صار له الملك عليهم بما ذكر من سورة يوسف، إن الهداية كانت على دخن،ذلك لأن اتباع الناس دين الملوك تكون فيه شبهة تحصيل العاجلة، وهكذا كان أمر أهل مصر مع دعوة يوسف عليه السلام، ولذلك قال الرجل الصالح هنا(فما زلتم في شك مما جاءكم به) وهذا الشك بقي لابساً لحالهم حتى مات يوسف عليه السلام، فشعروا بالراحة لذلك، وأنه لن يكون بعده رسول، وحالهم كمن تحلل من مهمة كانت تتعبه وتؤرقه، فلما انقضت شعر بالراحة أنه لن يعود إليها.
وكلامه هنا وعي على حال تاريخ البشر وتاريخ أمته ، كلاهما مع النبوة.
-- وهو يربط هذا كله مع نقطه نهاية العالم في اليوم الآخر(ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد)
والأنبياء إنما يخوفون الناس بهذا، بالعاقبة العاجلة التي به يتم استبدال الناس وتغير أحوالهم لمعصيتهم لربهم، والناس يستهزؤون بهم، سقوطاً في الغفلة والنسيان ، وهم يتمرغون في لحظة زهو مع النعيم الذي أعطي لهم امتحاناً وابتلاءً ، ويخوفونهم بلقاء الله تعالى واليوم الآخر
وبهذا يفترق هذا الدين في دعوته وبيانه عن غيره من دعاة الإصلاح بعيداً عن الدين والإيمان.

لحظات مع القرآن/٣٦
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين وعلى صحبه الميامين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
أما بعد
فإن الإيمان ليس عملاً قلبياً فقط، ولا هو عملا فردياً فقط، بل هو جماعة ورفقة، فيها الإمامة والقيادة، وإحدى مهمات الأنبياء مع أتباعهم صناعتهم جماعة لها صورة الإنخلاع من سلطة وجماعة الجاهلية، ولذلك من صور الصراع بين طائفة الهدى وطائفة الجاهلية تدور حول الإمام والقائد والرمز، وحين يطرح مؤمن آل فرعون كلمته العظيمة قائلاً(وقال الذي آمن يا قوم اتبعون) يعني أنه يطرح نفسه إماماً بدل إمامة فرعون، وقائدا لهذا السبيل بدل قيادتهم الجاهلية، وهذا مما ترفضه الجاهلية والجاهليون، فإن إحدى مهمات دعوة العلمانيين المعاصرين، وهم خلف لأسلافهم الزنادقة

والمجرمين قولهم إن الإيمان عمل فردي لا جماعة فيه، وأمر قلبي لا مظهر له، وهم يريدون سلب الإيمان فاعليته في الوجود، ولو نظر الباحث إلى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة لرأى أن من مهمات صناعته ودعوته تكوين الجماعة المؤمنة التي تنخلع من الجماعة الجاهلية القائمة على القبيلة وسلطانها، إلى جماعة تأتمر بأمر النبي، والرجل الصالح هنا يقول(اتبعون) فهو يطرح نفسه بديلاً لفرعون، هذا مع أنه لا سلطان ولا ملك له، لكنها حركة الإيمان التي تبدأ بهذا التجمع حتى يتم تكوين السلطان والقوة.

وهذا الذي يقوله هذا الصالح يقوله الملك النبي سليمان عليه السلام وهو يرسل رسالته الى ملكة سبأ قائلاً(ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين)، فهو يربط الإيمان بشخصه وسلطانه، كما أن هذا المؤمن الذي لم يعد كاتماً لإيمانه يربط سبيل الرشاد باتباعه، وهذا يعني أنه لا بد من شاخص إيماني ماثل لأعين الناس يؤوبون إليه، وهي وإن كانت في بدايتها رفعة لهذا المتبوع، إلا أنها تكليف عظيم أن يصبح الإيمان امرءاً يعيش الإيمان نفسه ليمثله في أذهان الناس.

وهذا المؤمن الصالح يرد الكلمة بالكلمة، لكنها كلمة الدليل ، كما أنه لا كبر فيها ولا غرور، يقول فرعون(ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ، فيرد عليه الرجل الصالح(يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) فهو ومع وضع نفسه نداً للطاغية المتكبر، ليحصل الصراع بين شخصين يحملان منهجين ودينين مختلفين، إلا أنه لا يقول قوله ولا يعبر عن حقه تعبير الشر بل يقول (اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) بلا رؤية تحصر الحق، بل هي الهداية والإيمان.

وهو كما ترون في خطابه هذا يلغي فرعون واسمه، ويذهب إلى قومه، وهذه حالة تدل على أن الصراع صار بين طائفة وطائفة، وبين عدوة وعدوة، هذا يدعو لكفره الذي صار شخصه واسمه يمثله، وهذا يدعو للإيمان الذي صار هو بنفسه يمثله، وصار الإنتماء إليه ضرورة إيمانية في هذا الصراع.

في هذا الحال سيكون الاتهام ماثلاً في قول فرعون وملئه باتهام موسى وهارون عليهما السلام(قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكنا الكبرياء في الارض)

هذا يتخلى عنه البعض ابعاداً لتهمة البحث عن السلطان، وإبعاداً لإشعال الحرب مع الجاهلية المستكبرة المتغطرسة.

لكنها صورة الإيمان حتى وهو يكتم نفسه، فكيف لو كان هذا الإيمان معلناً نفسه؟!

٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين

وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
آلة الجاهلية تصنع أدواتها بحسب الحاجة التي تضمن لها الإستمرار ، وتحقق لها مقاصدها في العلو على المغلوبين والمساكين، وفرعون ليس طاغية على قومه فقط، لكنه مستعبد للعبرانيين من بني اسرائيل، وحين جاء موسى عليه السلام إليه بدعوته جاءه بمطلبين : التوحيد وترك بني إسرائيل ليرحلوا عنه، وهذه مطالب تقوض سلطان فرعون من كل جهة.
استعان فرعون بوزيره هامان، كما استعان بالعميل الاسرائيلي قارون، والعجيب أن قارون هذا كان من قوم موسى، فهو اسرائيلي، كما قال الله تعالى(إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) ، ومع أمر فرعون لقومه بقتل الذكور من رجال الاسرائيليين واستحياء نسائهم، إلا أنه سمح لقارون بهذا النماء السرطاني تحت ظل سلطانه حتى صار كما قال تعالى(ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)، وهو حين يسمح بهذا النماء والغنى إنما ليتخذه آلة ضد قومه الاسرائيليين ولذلك قال الله تعالى عنه(فبغى عليهم).
فهذا وزير هو هامان، وهذا عميل ضد قومه الذين هم في الهوان هو قارون، وهؤلاء السحرة الذين يبسطون على سلطانه الهالة التي تخضع الناس بجمهورهم الجاهل من خلال الخداع والتلعب بهم.
هذه أدوات الجاهلية في سلطانها، وهي أدوات الطاغوت في كل زمان، ليتم له الدوام في بسط سلطانه.
في قصة مؤمن آل فرعون يذهب الطاغية لهامان طالباً منه(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاًلعلي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) وهذا دليل على قدرة هؤلاء القوم على البناء، فهو يطلب سلماً له من الطول ما يذهب في السماء عالياً حتى يصل لما يتوهم، وهذا عند أهل العقل دليل على أن موسى عليه السلام أخبر هذا الطاغية أن ربه في العلو، لكنه العلو المطلق الذي هو محيط بكل الكون من كل اتجاه،وهو حين يطلب هذا الطلب يقدم معه جزمه بكذب المقابل(وإني لأظنه كاذباً) وهو يعلم أن دعوة موسى الناس إلى الله إنما تقوم على الإيمان بالله غيباً، وهو من البلاء الذي فتن الله به الخلق جل في علاه لتصديق خبره وخبر أنبيائه عليهم السلام.
يطرح فرعون هذه المقالة في خضم دعوة الرجل الصالح، وهو يلغيه في الخطاب، ويجعل القضية مع موسى عليه السلام، ولذلك كانت كلمة الرجل الصالح لقومه بعد ذلك (يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد)، لأن مهمة فرعون في التوجه للخطاب إلى موسى وهو يسمع كلام رجل من بني جلدته أن يخفيه ويستحقره، فلا يلبث هذا الرجل أن يقذف هذه الكلمة

التي تمثل الصراع بين رجلين، فرعون من جهة ، والرجل الصالح من جهة أخرى، فهو يعيده إلى الحديث معه، لأن هذا الرجل الصالح صار معلم الإيمان نفسه، وهو حالة الإيمان الذي يعود الناس إليه، فمن اتبعه فهو مؤمن ، ومن خالفه فهو مع عدوة فرعون.
هذه فضيلة السبق ، وهي نعمة الذهاب للإيمان في حالة البلاء الأولى ، حيث يصير هؤلاء هم معالم الإيمان ورجال المرحلة، (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه).
وهكذا لم يعد الصراع في حالته الأولى بين منهجين، لكنه كذلك يصبح بين رجلين، كل منهما يمثل المنهج الذي التصق به.

لحظات مع القرآن/٣٨
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
يعيد الرجل الصالح تذكير قومه بالدار الآخرة، فهي مبتدأ الحديث وهي ختامه، فيقول لهم(يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار)، وعماد دعوة الانبياء وأتباعهم ربط الناس بالدار الآخرة، ذلك لأن هذا الدين لا يقوم أمره إلا بالإيمان بالغيب، والحديث عن الدار الآخرة مهما بدا للبعض غير مؤثر على نفوس الخلق الذين أشربت نفوسهم حب الدنيا إلا أنه في الحقيقة يهز هذه النفوس ويقرعها حتى لو بدا لك القلب قاسياً غافلاً، ذلك لأن ذكر الجزاء الأخروي من نعيم وعذاب له حضوره في فطر الخلق، فإن خوطبت به قرعها وأثار فيها المعاني اللازمة لاتباع الحق، لكن النفوس النافرة تصارع فطرتها للبقاء في العصيان وليس العكس، فالفطر تستجيب لهذه الدعوة التي تتلائم مع الجبلية الخلقية في البشر، وبمجرد قرعها بالتذكير تتذكر كما وقع مع قوم ابراهيم عليه السلام لما قال لهم(اسألوهم إن كانوا ينطقون) فماذا وقع لهم؟! إنها هزة العقل والفطرة حيث قال الله بعدها(فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون)، وهكذا تحدث كلمات الإيمان فعلها في النفوس من أجل إقامة الحجة من النفس على النفس ، وهو أبلغ ما يكون بلاغاً يوم القيامة ، وذلك بأن تعرف الحق ثم هي تجاهد في عدم اتباعه، ولا يحدث هذه الحجة إلا ما كان موافقاً للفطرة، ومنه الحديث عن يوم القيامة.
فهذا حديث لمن جربه مع الخصوم يعلم كم هو قوي مؤثر ، وكم تكرهه النفوس النافرة عن الحق، حتى وهي تنكره في

الظاهر ، فلا تقل: كيف أخاطب من لا يؤمن بالآخرة خطاب التخويف من لقاء الله بعد الموت؟!
لا تقل هذا، بل ادع بدعوة الانبياء واقرعهم بهذا الخطاب، فهو في الابتداء من باب إقامة الحجة الإلهية على الناس، وهو من باب آخر نقر فاعل على مكان له حضور في فطر الخلق علمه الله منهم ، ومن أجل هذا جعله الله مدار دعوة الأنبياء جميعاً.
إن هذا الأمر هو من أسس القرآن، ومن أسس دعوة الأنبياء، وهو ركن ثالث بعد التوحيد والاتباع في تكوين الشخصية المؤمنة الفاعلة في الوجود، هذه هي مدار حديث هذا الرجل الصالح مع قومه:
--- (ربي الله)
--- (اتبعون اهدكم سبيل الرشاد)
--- (إني أخاف عليكم يوم التناد)
فمن أخطأها في دعوته إلى الله فقد أخطأ البناء، وسار على غير طريق المهتدين، والله يقول على لسان أنبيائه(قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين)

٣٩
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
تتكرر كلمة الإسراف في حديث الرجل الصالح مرات، وذلك في قوله(إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وفي قوله(كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) وفي قوله(وأن المسرفين هم أصحاب النار)
وهذا التكرار دال على طبيعة القوم المخاطَبين في كلامه؛ أي قومه، ونوع معيشتهم، واختياراتهم العملية والذهنية، ومما لا شك فيه أن قوم فرعون كان لهم النعيم العميم، وذلك بين في القرآن، وإليك الدليل:
يقول فرعون لقومه(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي)، وإذا كانت بلادهم بهذا الخير من الأنهار فهو دليل على ما عندهم من الزروع والثمار، ولذلك لما أهلك الله فرعون وجنده قال تعالى(فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل) والذي ورثه الإسرائيليون هي الكنوزفقط،وذلك لما أخذوا معهم من أموال القبط وهم خروج من مصر، كما قال تعالى(ولكنّا حملنا أوزاراً من زينة القوم) وهي الجواهر التي صنعوا بها العجل الذي عبدوه، وأما أبنيتهم فقد دمرت كما قال تعالى(ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) فدل على أن زروعهم وعروشهم أي أبنيتهم قد دمرت، وأما قوله

تعالى(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) وهنا في هذا الموطن من سورة الدخان لم يذكر الله بني اسرائيل كما ذكرهم في الآية التي في سورة الشعراء، وسبب ذلك والله أعلم أن الأية من سورة الشعراء ذكر فيها الكنوز، وهذه قد ورثها بنو اسرائيل، وهذه الآية من سورة الدخان لم يذكر فيها الكنوز بل ذكر غيرها وهي صارت ميراثاً لمن جاء بعدهم ممن سكن مصر، ذلك بأن بني اسرائيل لم يسكنوا مصر بعد خروجهم منها مع موسى وهارون عليه السلام، وأما قوله تعالى عقاباً لهم (ادخلوا مصراً فإن لكم ما سألتم) فقد نونت مصر هنا فدلت على الوصفية لا العلمية، أي بلداً، لا مصر التي هي اسم لبلد أهل القبط.

هذا الرجل الصالح ربط الإسراف في قضايا متعددة ، خاطب بها قومه، فقد ربط الهداية بعدم الإسراف وعدم الكذب، وربط الضلال بالإسراف والإرتياب، وربط الاسراف بدخول النار، وهكذا يكون الإسراف بالنسبة لقوم فرعون سبباً لصرف الهداية عنهم حين سماعهم الحق، وهو كذلك سبباً لثباتهم على الضلال، وهو ما يحقق دخولهم النار، وكأن هذا الرجل الصالح يرصد سبب خذلان قوم فرعون لدعوة موسى بربط هذا بما عندهم من الشر المقيم بين أظهرهم، وهو ربط للحالة النفسية مع الناحية المادية السارية فيهم، والحالة الاجتماعية والاقتصادية في البشر والمجتمعات لها دور كبير في علاقتها مع الحق واتباعهم له، ولذلك ليس عجيباً أن يجعل الله تعالى النبوة والصحبة لهذه النبوة الجليلة التي حققت تغيير مسرى التاريخ من قوم لهم سمات معينة هم العرب في جزيرتهم.

اضاءة: يرى بعض الباحثين أن مصر هذه اليوم ليست هي مصر القرآن، ويعتقدون أن مصر القرآن قد دمرت وبادت، كما ذكر في الآية المتقدمة من سورة الأعراف(ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)، ولهم أدلة أخرى من القرآن والنظر، والله أعلم.

لحظات مع القرآن/٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين وعلى صحبه أجمعين

أما بعد

يفرغ الرجل الصالح مقالته لقومه بقوله(فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)، وهي كلمة تمتلىء رحمة وتواضعاً، حيث يرى من قومه الإعراض والصدود، وهو لا يملك إلا أن يخوفهم من الله ومن لقائه والدار الآخرة،

وهذا شأن الأنبياء في هذا الباب كما يقول تعالى عنهم(قل إنما أنذركم بالوحي) وهذه وإن بدت للبعض كلمات ضعف، لكنها في حقيقتها كلمات قوة، لأنها كلمات يقين في القلوب، فكلماتها حقائق كأنها أحكام القضاة النافذين، تعطى وتنتظر يوم نفاذها، فلا يشعر المخاطب بها إلا أنها موقوفة التنفيذ لأجل ، ثم هي قادمة لا محالة، وبهذا تكون النفس حتى وهي في غيها في عذاب من هذه الكلمات، وتكون خاضعة لسلطانها، وهذا الرجل الصالح يطلق زمان الذكرى، أهو يوم العذاب الدنيوي، أم هو يوم العذاب الأخروي، ليشمل هذا كله، يذكرون كلماته لتكون حجة عليهم، وكلماته كذلك تحمل جواباً لأقوال قيلت له من التهديد والوعيد، إذ لا يكون قائلاً تلك الكلمة إلا جواباً على تهديد منهم(وأفوض أمري إلى الله) وهذا من توكله على مولاه ليكفيه شأنه ، وهو سبحانه القائل(أليس الله بكاف عبده، ويخوفونك بالذين من دونه) ، وهذا التوكل هو سلاح المؤمن ، فتفرغ النفس من أي سلطان أو قوة، فإن التجاءها إلى الله يكون على وجه التمام ،والرجل الصالح يقول لهم (ما أقول لكم) ولم يقل لهم ما قلت لكم، ذلك لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرارية وعدم الانقطاع ، بخلاف الماضي الذي يفيد الذهاب والإنقطاع، وهذا دليل أن الرجل لم يكف، ولم ينو الكف، أي إنه لم يقل كلمته ثم تركهم ومضى، بل بقي بينهم مذكراً لهم بما تقدم من كلامه، ويستمر بهذه المواعظ الإيمانية لهم لعلهم يتقون، وهذا هو شأن الداعي، لا يقول كلمته مرة ثم يذهب عنهم ظاناً أن الشأن معهم قد انتهى.

وهذه الكلمة (أفوض) لم تذكر في القرآن إلا في هذا الموطن، وكأن فرادة هذا الرجل بين قومه وأهله تقتضي فرادة لفظه الذي يختص به، لتبقى هذه الكلمة القرآنية كلما ذكرت دلت على رجل واحد في الوجود هو هذا العبد الصالح الذي هجر قومه وما يعبدون ، ومضى سائرا في رحلته مع الله تعالى.

فحين تكون الكلمات فريدة مع إيمانها ، يكون أصحابها لهم فرادة الإيمان في أزمانهم، ويحفظ الله تعالى لهم هذه الفرادة في كتابه ليكونوا هم معالم هذه الكلمات الإيمانية ، كما تكون هذه الكلمات هي كذلك دالة عليهم.

وهو يفوض أمره كله لمولاه، والتفويض افراغ للنفس من القيام بشؤونها اعترافاً بعجزها عن القيام بهذه الشؤون، وخاصة في محيط قوم لا ناصر له منهم أحد، ولا معين له على شأنه منهم أحد.

(فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) فقط بهذه الكلمات الخبرية السريعة تغلق صفحة المواجهة بين هذا العبد وبين قومه، حيث يقع التفويض موقعه، فتقع الوقاية الإلهية لتحميه وتدفع عنه الشر، والعجب أن يكون

واحداً لا يملك إلا الكلمة، وهم جموع لهم الملك والسلطان ، وعندهم الجنود، ومع ذلك يقع منهم فعل المكر، فلا يأتون إليه إلا بهذا الفعل الدال على الخفاء والسر والتخطيط(مكروا) ، فينجو بما لا نعلم من الطرق، لكنه ينجو وهذا كاف لمن اراد السير على هذا الطريق وهذا السبيل.
والإتيان ب(ما) الدالة على الإطلاق، لتجمع أمرين هما على الضد، أولاهما الكثرة، إذ عدم تعيينها يذهب النفس إلى الكثير من التصورات والاحتمالات، وهي مع ذلك دالة على الصغر والضعف، فهي(ما) ولا مزيد، وكذلك الإتيان بتسمية المكر سيئات، والمكر في الابتداء لا يكون إلا سيئاً، دليل على قبح ما خططوا له وجمعوا شأنهم عليه، وكذلك تأمل الجمع في قوله(سيئات) فهو دليل لك أنهم لم يمكروا مرة ولا مرتين ، بل مكروا (سيئات) كثيرة، إذ كلما فاض شرهم بمكر رده الله عليهم، وكيف لا يكون الأمر كذلك، وهذا رجل دخل في كنف الله وحفظه ورعايته.
هذه السورة كما تقدم تعطي للناظر فيها معنى الفرادة، والإيمان هذا شأنه عند الابتلاء، وكذلك هذا شأن السني عند البدع، وهو شأن أهل الحق في محيط الجهل والإنحراف، حيث يسير الناس كأسراب القطا ، يتبع بعضهم بعضاً، دون تفكير ولا وعي، وينجو من يأبى أن يكون مجرد رقم في قطيع بهيمي لا عقل ولا نظر ولا تبصر، بل يذهب وحيداً في إيمانه وفي مواقفه،وهذه السورة كشأن القرآن حين يطرح هذه القضية أي قضية فرادة المؤمن التي تجعله غريباً تذكر هذا الصنف من البشر بحركة الغيب التي تعيش معهم، ليعيشوها حقيقة في قلوبهم، تسد ما نقص لديهم من غربة واقعهم، كما أراد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء، والله يقول فيها له ولمثله في سورة الاسراء(وإن من شيء إلا يسبح بحمده) لتستشعر موافقة الوجود لما تفعل، وأنك لست غريباً بالنسبة لعالم الغيب، وإن كنت غريبا في حياة الناس الغافلين، وهكذا تبدأ هذه السورة؛ سورة المؤمن بقوله تعالى(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فمن أيقن على هذا ذهبت غربته يقيناً أنه هو الحي وهم الأموات.
اضاءة: قال الرازي في تفسيره بما معناه مادحاً ما أتى به الزمخشري من فهم لهذه الآية(ويؤمنون به) في تفسيره الكشاف، إنه لو لم يكن في تفسيره إلا هذه لكانت كافية، ذلك بأنه استفاد منها أن الملائكة لا يرون ربهم، ولذلك هم يؤمنون به، وهذا لا يقال له إلا أنه علم حضر إليهم خبراً لا عياناً، فإن من عاين لا يسمى فعله إيماناً.
قال الرازي: ورحم الله صاحب الكشاف فلو لم يحصل في كتابه الا هذه النكتة لكفاه شرفاً وفخراً.

وكلمته رائعة ولا شك، إلا أن الرازي والزمخشري من قبله جعلاهاحجة لباب بدعي آخر ، ليس هذا مكان بسطه.

لحظات مع القرآن/٤١
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين، وعلى صحبه أجمعين
أما بعد
تأتي السورة ؛ أي غافر بعد هذا العرض لقصة الرجل الصالح إلى تقرير أمر تكرر ذكره في القرآن، وهو رفض حجة الضعفاء والتابعين بعدم متابعة الحق، وأن الضعف في أجلى صوره كما هو في شخص مؤمن آل فرعون، أمام أكبر طاغوت في تاريخ النبوة السابقة لنبينا صلى الله عليه وسلم لم تكن مانعاً من سلوك سبيل الهدى والحق، وإنّ أدنى ما تفعله أن تكتم إيمانها كما قال الله تعالى هن هذا العبد السابق، فتقول السورة(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار، قال الذين استكبروا إنا كلّ فيها إن الله قد حكم بين العباد)، وهنا تقرير قرآني أن التابع والمتبوع في نفس المقام من العذاب الإلهي، وأما في مراتب العذاب فقد دلت آيات على أن المتبوع أكثر عذاباً من التابع كما قال تعالى(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون)، وحقيقة عدم اعذار التابع ذكرت في مواطن عدة في القرآن، فقد ذكرت في البقرة في قوله تعالى(اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) وهذه تأتي بعد قوله تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله) والمناسبة بينهما بينة كما ترى، وذكر هذا في سورة سبأ في قوله تعالى(ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين) والآيتين بعدها، وفي سورة ابراهيم في قوله تعالى(وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص)، واهتمام القرآن بهذه القضية يعني قطع حجج الضعفاء في السير في ركاب الكافرين والمستكبرين بحجة الضعف ، فالمرء له مندوحة في هذا وهو التخفي والسكوت وترك مواطن الكفر ، والمرء إن لم يقدر على كلمة الحق يسعه أن يسكت، وكذلك فإن المرء الذي لا يقدر على الوقوف في مقام اظهار الحق يسعه التخفي، وأما ما لا يجوز البتة وهو من الكفر أو الضلال بحسب ما يقترفه إن وقف مع المستكبرين أو الظالمين، وظنه أنه معذور لضعفه

وهو يقول الباطل، أو معذور في عمله مع الباطل ، فهذا من خداع النفس، نعم للإكراه أحكامه، ولكن فرق بين الإكراه الملجيء الذي تنقطع فيه إرادة المرء، وبين الذهاب للكفر أو الضلال بالاختيار طمعاً في دنيا عاجلة.
هذا المؤمن الخفي بحالته التي عرضها القرآن هي النموذج الذي يتكرر لحالة الفرادة الذاهبة بعيداً عن أسر القطيع، الذي يسير بالغريزة نحو الأكل والمشرب دون وعي على العاقبة، ودون التفكر علماً وعقلا بالحق ومعالمه ، وبالباطل ونتن ريحه البادية لكل عقل.
وتبقى صورة الفرادة حالة إيمان ووعي وعقل وهداية مفتوحة الطريق والسبيل يسلكها الذي اراد الله لهم أن يكونوا هم عمد العالم ونور الوجود، تتنزل عليهم الملائكة ويحفهم رضوان الله تعالى،وتذكر أن في سورة غافر حمائل من نور تعين هذا الفريد الذي يعيش غربته، فهناك قوله تعالى(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وهناك ذكر الدار الآخرة(إن الساعة لآتية لا ريب فيها) وهناك عدة السير (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) ، وهكذا تكون سورة غافر هي سورة المؤمن السائر إلى الله وحده غريباً، يأخذ منها زاده ومثاله.
وبهذا تعلم معنى السير في الأرض الذي أراده الله لك في قوله تعالى(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم) فهؤلاء الغرباء وهم كحالة الذئب انفراداً هم من أقدر البشر على إدراك سنن الله في الوجود، فلا تغرهم كل صرخات فرعون وهامان وقارون وهم يعلنون (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) ذلك بأنهم يعلمون قوله تعالى(وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

لحظات مع القرآن/٤٢
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين
وبعد:
سأل أخ قائلاً:
وأنا اقرأ وردي بين الاذان والإقامة لصلاة الفجر شدتني والله الآيتان

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)

يا ليت من رزقه الله سعة في التدبر يفيدنا ايش الرابط بين الآيتين وإن كان الناظر لهما لأول وهلة يظن كل آية تخص موضوعاً بذاته؟

سأل الأخ هنا وعلى الخاص ذكر سبب المناسبة بين أيتين من سورة الأنفال، وهما ورود قوله تعالى(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) ثم جاء قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وقبل أن أجيب على السؤال فإني أذكر بالتالي:
أولاً: لقد جاء الخطاب الإلهي في سورة الأنفال للمؤمنين في آيات جرت على نسف وتسابق واحد، وذلك بعد قوله تعالى في صفات المؤمنين التي تقدم ذكرها في مطلع السورة، وذلك بعد قوله(إن كنتم مؤمنين) فجاء قوله تعالى(أنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) إلى قوله(أولئك هم المؤمنون حقاً).
فلما فرغ من ذكر أعلى صفات المؤمنين جاء إلى وعظهم وتعليمهم بخطاب(يا أيها الذين آمنوا)، وذلك في أيات خمس، وهي(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروازحفاً فلا تولوهم الأدبار)
ثم آية(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ثم آية(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ثم آية(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) ثم آية(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)
ثانياً: في هذا الترتيب أعاجيب، وأعظمها عندي هذه الامور وهي بعضها: أنها ختمت بقوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) فجعلت خاتمة العطاء الإلهي تحصيل الفرقان، وهو هذا النور الذي يقذف في القلوب ليميز العبد به بين دقائق الشر ودقائق الخير، وهذه أعظم النعم لمن يعلمها.
ومن بعضها: يعلم الشادي أن سورة الأنفال هي سورة غزوة بدر، والمفسرون على أن قوله تعالى (لما يحييكم) هو الجهاد، فدل على أن خاص الأمر في كل هذا الخطاب هو الجهاد، فأولها(إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) هي في الجهاد بلفظها، وثانيهما(ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) وكلمة التولي جاءت سابقا(ومن يولهم) فكأن التولي حالة واحدة، هذا يتولى من لقاء الأعداء، وهذا يتولى من خطاب النبي، وهما في نفس الجو والحال من غزوة بدر
وثالثهما في قوله تعلى(لما يحييكم) وهو الجهاد
ورابعهما: (واعلموا ان أموالكم واولادكم فتنة)وهما من

معوقات الجهاد بعد ذكر المن الإلهي كما سيأتي تفصيله.
وخامسهما : استخدام لفظة الفرقان، وهي نفس الكلمة التي قالها الله تعالى عن يوم بدر في نفس السورة(يوم الفرقان)، فدل على الترابط الأكيد بين الأمرين
فدل على أن هذا الخطاب الخماسي للمؤمنين له موضوع واحد في جوهره، هو الجهاد
والأن إلى السبب الخاص بين الآيتين المسؤول عنهما من الأخ فأقول: تأمل المنّ الإلهي على عبيده في قوله(واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون) فهذا هو الفضل الإلهي العميم على المؤمنين، وهو أعظم الفضل في بناء المجتمع المسلم، إذ حصل لهم ما قاله سبحانه(اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) فكان لهم الأمنان كما يقولون؛ الإجتماعي والسياسي ثم الإقتصادي، وهذان يجتمعان كثيرا في الآيات القرآنية كما تقدم، وكما في سورة النحل في قوله تعالى(وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون).
وهنا في سورة الأنفال نعمة زائدة عن الأمن هي نعمة النصر، (فأواكم وأيدكم بنصره) ، وقدم الإيواء على النصر لأنه الأعلى ، والأقرب قدراً،
فبعد أن فرغ من ذكر العطاء والنعم، بل أعظم النعم عليهم ،جاء لقوله(لا تخونوا الله..... الى قوله واعلموا أن أموالكم وأولادكم فتنة) فكانت الخيانة هو الشغل عن الطاعات بالمال والأهل، والتنعم في العطاء دون القيام بما هو مقصود العبد ومقصود هذا المجتمع، فالخيانة هنا هي ما تلاها من قوله(واعلموا أن أموالكم وأولا دكم فتنة)
فبعد ذكر المنّ حذر من الإشتغال بما منّ عليهم به بما أقيموا له، فحصل التناسب بين الأمرين.
فهذا جوابي لأخي، وأعظم من هذا هو التفكر في سياق الآيات كلها بما هو من محيط جو السورة كلها كما تقدم ذكره، وهو بعض المعاني لا كلها والحمد لله رب العالمين

لحظات مع القرآن/٤٣
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين وعلى صحبه أجمعين
أما بعد
ففي القرآن تقدم المغفرة على الرحمة طلباً وفعلاً، فأما طلباً من الخلق ففي قوله تعالى:
في آخرسورة البقرة (واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا)

وفي الأعراف في قوله تعالى(أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وذلك من قول نبي الله موسى في استغاثته بربه حين أخذت العرفاء السبعين من قومه الرجفة.
وفي سورة المؤمنون في ذكر خصال المؤمنين (ويقولون ربنا اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين)
وجعل الفاصلة هنا(خير الراحمين) وفي الأعراف فيما تقدم(خير الغافرين)،ذلك لأن السبب الحاضر لما وقع لهم من الرجفة هو الذنب، فرفع الذنب سبيلاً إلى إيقاع الرحمة، فكان ذكر ربنا بأنه خير الغافرين، لأن هذا هو المطلوب هنا ابتداءً، وأما في سورة المؤمنون، فهو إخبار ربنا عن هؤلاء الصالحين وما كانوا يقولونه عند استهزاء الكافرين بهم، وذلك بأن الله يقول(إنه كان فريق من عبادي يقولون.. الآية) وكان فعل الجاهلين هو(فاتخذتموهم سخرياً) وهذا موطن يحتاج فيه إلى الرحمة بهم أمام صنيع الجاهلين.
ومن مواطن إخبار طلب المؤمنين المغفرة قبل الرحمة ما ورد في سورة هود(وإلا تغفر لي وترحمني) وذلك من سؤال نوح عليه السلام لربه بعد استغفاره من قوله لله تعالى(ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين).
وأما ورودها إيقاعاً وخبراً ففي قوله تعالى في سورة آل عمران(لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ، وفي قوله تعالى في سورة النساء(درجات منه ومغفرة ورحمة).
وحين وصف الله تعالى نفسه قدم المغفرة على الرحمة، وذلك في قوله تعالى في سورة الكهف(وربك الغفور ذو الرحمة) لأن المغفرة للعبد موجب للرحمة فيما أوجب على نفسه جل في علاه.
ولم تذكر الرحمة قبل المغفرة إلا في موطن واحد في القرآن الكريم، وهو في سورة الأعراف، وذلك من طلب بني اسرائيل حين رأوا أنهم قد ضلوا بسبب عبادتهم للعجل في قوله تعالى(ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)، وهذا يمكن تفسيره على وجوه عدة منها : أن بني اسرائيل استعجلوا طلب رفع العذاب ، لأنه الأقرب اليهم في الدنيا، وفي الحال الذي هم فيه،وأما المغفرة فلها شأن العذاب الأخروي، فأجلوا ذكرها.
ويمكن حملها على حضور الأقرب إلى قلوبهم، فإن الرحمة لمثلهم أحب وأقرب في قلوبهم من المغفرة، وهذا أليق بحال بني إسرائيل.
والأفضل للعبد أن يقتدي بوالديه في هذا الباب ، فهم قالوا لما اقترفوا المعصية(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، وهذه الكلمات هي التي قال الله فيها (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم).

لحظات مع القرآن/٤٤
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
الترف حالة نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية، تنشأ من خلاله طبقة شر في داخل المجتمعات، عدوها الحق، فهي تأبى الدخول فيه أو متابعته لأنها غافلة عما يكاد لها في الغيب، والقرآن يكشف سوء هذه الطبقة ويعريها، وهي شر كالمنافقين، تعمل عملها الخبيث في المجتمع، والقرآن جعلها في كل حال عدواً للحق، ترفضه وتأباه:
يقول الله تعالى(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) ، وسبب هذا الإعراض كما ورد على لسانهم(وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين)، وهذه لغة قبيحة في العلم، لكنهم لما رأوا أنهم بأموالهم وأولادهم يستطيعون تحصيل ما يريدون في هذه الحياة الدنيا، ذهب جهلهم بهم أنهم بها يمكن تحصيل الجنان في الآخرة، أو أنهم ذهبوا إلى جهل آخر، ذلك بأنهم قالوا: إن الله لم يعطهم هذا العطاء إلا بسبب خصيصة رضيها منهم، فإن أعطاهم على هذا المعنى ، فهذا المعنى جدير بأن يحصلوا فيه الجنان في الآخرة.
هاتان الآيتان جعلتا أئمة الصد عن الحق هم المترفين من البشر،وهما في سورة سبأ، حيث تحكي السورة فيه شأن البلدة التي قال الله فيها(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية، جنّتان عن يمين وشمال)فكان ما قاله الله(فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنّتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل).
وفي هذه السورة ذكر الغنى الصالح، وذلك بعرض نموذج الملكين النبيين ؛ داود وسليمان عليهما السلام، وما أعطاهما الله تعالى من النعيم والمنن.
وقد يعجب البعض من ذكر الضعفاء والمستكبرين في هذه السورة، في آيات هي من أعظم ما يجب أن يذكره الناس حين يقدر عليهم الفقر والحاجة فيذهب وهلهم أن يكونوا أتباعاً للملأ الفاسد المترف، فتكون النتيجة كما قال تعالى(وأسروا الندامة لما رأوا العذاب، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا)، وذكر الأغلال في الأعناق عذاباً للمستضعفين الذين انساقوا وراء الملأ المستكبر المترف، إنما هو جزاء ما فعلوه بأنفسهم من جعلهم أتباعاً وخولاً لأسيادهم في الدنيا، وذلك بأنهم ربطوا أنفسهم برباط الدواب في أعناقهم وأسلموها لأسيادهم، ولذلك يقول تعالى(هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)، فهذا الجزاء موافق للصنيع حتى في صورته.

ولذلك لا عجب أن تختم سورة سبأ بقوله تعالى(وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل) ، وهذا هو ما سيقع على كل مترف في هذه الحياة الدنيا، حين يحجز بينه وبين شهوته، ويخليها وراءه، أو أنها تذهب من بين يديه.
وللترف في القرآن حديث طويل.

لحظات مع القرآن/٤٥
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
حديث القرآن عن المترفين في أغلب الصور المعروضة باعتبارهم طائفة داخل المجتمع ، واتخاذهم موقف العداء للحق، وكأن الترف المادي حالة مؤثرة على اختيار الناس للمفاهيم والقيم، عماد اختياراتهم هذه هو محبة الدنيا وكراهية الموت، وهذا الدين عماده اليقين على الدار الآخرة، فليس فيه من قيمة تحقق الهداية إلا بارتباطها بهذا الإيمان العظيم.
في سورة التوبة يطرح الترف باعتباره حالة مجتمع ، وذلك في قوله تعالى(كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً، فاستمتعوا بخلاقهم، فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون)، وحالة الاستمتاع هذه لا تكون إلا بما تقدم من ذكر القوة وكثرة المال والولد،وسورة براءة هذه ناقشت قضية النفاق، وتحدثت عن غزوة تبوك وحال المجتمع النبوي بكل أصنافه مع هذه الغزوة العظيمة، وذكر الترف فيها كحالة مجتمع لأن قضية الجهاد الذي حصلت فيه غزوة تبوك تتعلق بالمجتمع كله، فهذا جهاد طلب، والجهاد في مثل هذه الحالة هو تحرك مجتمع كامل، لا فئة منه فقط، وحين يكون الترف في المجتمع يعني بطلان حركة هذا المجتمع خارج أرضه للغزو والجهاد، فكما أن الترف حالة فرد أو طبقة ، تمتنع عن الحق واتباعه، فكذلك حين يتحول المجتمع إلى كيان مترف فإنه حينئذ يمتنع هذا المجتمع عن أداء واجبه في نشر الحق وإزهاق روح الجاهلية.
الآية تقرر أن الإستمتع باعتباره حالة نفس ، وحالة غلبة على التصرف تمنع من التصرف المهتدي، وتنشر حالة موازية لها وهي (وخضتم كالذي خاضوا) وهذا خوض مطلق، يمكن أن تطلق فيه النفس لكل خوض مادي أو كلامي، فهم يخوضون في المال إلى أذنيهم متعة وولوغاً ، وهم يخوضون مترفين في كلام المتع والإشغال الذي لا فائدة فيه، فهذه متعة الترف

، ومتعة الضياع والإذهاب، والنتيجة هي الخسران، وتطلق الآية الخسران لتشمل الدنيا والآخرة، مما يدل أن هذا هو سبب هلاك المجتمعات في الدنيا، وهو سبب سقوط الحضارات كذاك، ولذلك فالذين يعدون أن مستوى الحضارات هي ما تقدم من رغد عيش لأهلها ، وأن نسبة الحضارة نجاحاً وخسارة هو مقدار المتع التي يجنيها أهلها هم واهمون، لأن الحقيقة أن هذا هو سبب هلاك الأمم والحضارات،والله يقول هذا في سورة براءة وهي سورة غزوة تبوك كما تقدم إجابة لهم على معنى الخروج إلى بني الأصفر في وقت العسرة، فهو يقول لهم، إن الحال هذا هو ما يصنع النصر ، ويحقق البقاء لكم، وحين يعطي الله قوماً الهداية القلبية والشرعية فيقبلون عليها بقلوبهم، فإن من تمام هدايته لهم أن يحيطهم بالواقع القدري الملائم لهذه الهداية، وحين يطلب الله من أمة ما أن تقود العالم
وأن تسيطر عليه بالحق، ويستحيبون هم له، فإنه سبحانه يجري من المقادير التي تهيء لهم حصول هذه القيادة وهذا الإنتصار،ومعنى هذا أن يبعد عنهم قدراً حالة الترف والمتعة ليستحقوا وراثة الأرض وتحقيق الوعود.
فالمجتمع المترف بعيد عن الهداية، بعيد عن النصر والربح والقيادة، بعيد عن الوعود الربانية العظيمة، وإياك أن تقع أسير الجاهلية بأن تظن أن النصر وتغيير واقع العالم يكون بكثرة المال والولد وكسب القوة في محيط الهدوء والفراغ، فإنك إن وقعت في هذا الأسر الجاهلي لم تفهم حركة الحياة ولا التاريخ ، ولن تبصر معنى البلاء الذي يحيط بالناس من أجل رفعتهم وعزتهم.
حين ترى ترفاً يزول من مجتمع يعيش حالة الجهاد، وحين ترى بلاءً يعم في قوم وهم ينفرون في طاعة الله ضد المستكبرين فاعلم أن هؤلاء على طريق غزوة تبوك، اذ فيها يتمايز الناس بين مجاهد ومتخلف، وبين منافق ومؤمن، وبين بخيل وكريم ، وبين شجاع وكريم، لأن هذا ما صنعته تبوك الأولى، وها أنت الآن أيها المجاهد في سبيل الله تعيش تبوكاً أخرى، بها يزول من حولك الترف، وبها يتمايز الخلق، لأنك تعلم، إن كنت تعلم ، أنه لن تتحقق الوعود الإلهية على قوم يخافون كسر زجاج بيوتهم، لأنه لم يعد لديهم بيوت.

لحظات مع القرآن/٤٦
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد

فإن ملامح الشخصية الوارثة للجنان يعرضها القرآن بصورة التواضع والبراءة من الكبر والغرور، بل هي شخصية تدخلها عيون المستكبرين والطغاة والكفرة عموماً، وكأن هذه الحياة ليست لأهل الدين والإيمان وورثة الجنان، بل لهم الآخرة، ومن تأمل العرض القرآني لملامحهم يجد هذا جلياً وذلك في مواطن، منها:

-- في سورة الأعراف ، وخلال الخبر القرآني عن أهل الأعراف وحوارهم مع المؤمنين والكافرين، يعرض أهل الأعراف صورة المقابلة بين الطائفتين كما كانا في الدنيا، وذلك في قوله تعالى(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم، قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون)، فهم لهم جمع ؛ أي قوة وتمالؤ، وفيهم استكبار، وذلك من مظاهره الرفعة على الخلق، ولذلك كانوا(أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)،فنحن أمام عرض الصورة لطائفة مستكبرة، وعندها سبب الكبر الضار ، وهو القوة والجمع، ويقابلهم طائفة تدخل فيها العين، فتحتقرهم نفوس الجهل والفساد.

-- في سورة المؤمنون، عرض آخر ليوم القيامة ، وحوار عن واقع هاتين الفرقتين في الدنيا؛ وذلك بعد قوله تعالى عن طائفة الكبر والشر والغرور(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فيأتي الرد الرباني عليهم تذكيراً لهم بما كان الحال بين الفرقتين في الدنيا(قالوا اخسؤوا فيها ولا تكلمون، إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين)، فكان هذا الحال عندهم سبباً للإحتقار والتصغير (فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون)، وهي صورة تبين نفسية الضالين، وتواضع المؤمنين.

-- في سورة المطففين، يأتي العرض نفسه، وذلك في قوله تعالى(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين)، وهي تبين نفس الموقف من غرور وكبر المعرضين، وتواضع حال المؤمنين، ذلك لأن الاستهزاء لا يقع إلا على ضعيف أو ما ما كان في معناه.

ويشرح هذا حديث النبي صلى الله عليه بسلم: ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ متكبر.

وهذا العرض القرآني هو لحد الطرفين من الفرقتين، الكفر في حده النهائي ، والإيمان في حده الأعلى، وبينهما حدود أدني يدخل فيها أهل نفاق ومعصية وفساد، يستهزيء فيها المغرورون بالضعفاء، ويعيرونهم بضعفهم في هذه الحياة، فهؤلاء يصيبهم بعض ما يصيب الكافرين في حدهم النهائي،

وذلك بمقدار ما يقترفون من الشر.
وهذا يبين ما هو الأليق للإيمان من الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، يكشف هذا قوله تعالى(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكؤون)، وذلك لأن كل حالة فكرية أو علمية لها تلاؤم مع الحال الإجتماعي والإقتصادي الذي يعيشه المرء، هذا في أصول الشيء، ولكن لكل قاعدة شواذ كما يقولون، بل إن للبيئة تأثيرها على اختيارات المرء، فما من نبي إلا وقد رعى الغنم ، وفي الحديث: والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم.
فحالة الإيمان وبيئته الملائمة له هو التواضع والسكينة وانكسار النفس.

لحظات مع القرآن/٤٧
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
فقد سأل أحد الأخوان عن سر ورود اسم الرحمن في معرض عذاب الله تعالى من قول الخليل عليه السلام في سورة مريم، وذلك في قوله تعالى(يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) وهذه المسألة وإن كنت قد شرحتها في تفسير سورة الأنعام في قوله تعالى(كتب على نفسه الرحمة)، إلا أنه لا بأس بإفرادها هنا حتى ينشر تفسير الأنعام إن شاء الله تعالى، وللجواب على هذا السؤال لا بد من التمهيد بالآتي:
-- سورة مريم هي أكثر سورة ذكر فيها اسمه العظيم الرحمن، فقد ذكر هذا الإسم فيها من غير البسملة خمس عشرة مرة، فهي تدور في مباحثها على هذه الصفة الجليلة، والحديث عن الرحمة سمة السورة التي تواجهك وأنت تبحث عن موضوعها وعمود مطالبها.
-- علقت السورة عطاءات الله تعالى لأنبيائه فيها على الرحمة الإلهية، وكما أن التشريع مبناه على الرحمة كما تفتتح السور القرآنية باسميه المشتقين من الرحمة: الرحمن الرحيم، فكذلك يعلق الفعل الإلهي لما يقع مع أوليائه على الرحمه وذلك في التالي:
--- ابتدأ الله ذكر خبر زكريا عليه السلام بقوله تعالى(ذكر رحمة ربك عبده زكريا)
--- وقال عن عيسى عليه السلام(ولنجعله آية للناس ورحمة

متّا)
ووقع تعليل العطاء الإلهي لأبناء ابراهيم الخليل عليه---
وعليهم السلام بالرحمة فقال(ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً)
وكذلك علل الله عطاءه لموسى الكليم عليه السلام ---
بالرحمة فقال سبحانه(ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً)
وأما اسماعيل عليه السلام فهو داخل في ابناء الخليل عليه السلام، وأما ادريس عليه السلام فلم يذكر في أمره إلا مقام العطاء والمن ، فذكره يغني عن ذكر معناه، وذلك في قوله تعالى(ورفعناه مكاناً علياً)
.فبهذا علم موطن العطاء لأوليائه عليهم السلام
ولما كانت الرحمة الإلهية تسبق الغضب كما في الحديث، والمسابقة لا تكون إلا على معنى يستحق حلول المتسابقين عليه، فلا يقع مسابقة الغضب بين عامل بالطاعة مثلا، لأن هذا العامل ليس محلاً له، وإنما هو العاصي الذي يستحق حلوله عليه، ومع ذلك فإن رحمة الله تسبق على معنى من المعاني على هذا العاصي، وذلك مثلاً بتأجيل العقوبة لعله يتوب، أو بتخفيف العذاب عليه، أو لشمول الشفاعة له في باب من الابواب، أو لعفو الله تعالى الصارف للعذاب، وكل هذا هو من سبق الرحمة للغضب ، والله قال(ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) ومناسبة ذكر الزكاة هنا دون بقية الطاعات بالإسم لأنها تناسب قوله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن، والزكاة من أعظم مظاهر الرحمة الإنسانية بين البشر، فاتساع رحمة الله يجعل دخول الناس فيها اسهل من دخولهم في الغضب، ولا يقع الغضب إلا إذا شط العبد وابتعد وأدبر ادباراً منع من لحوق هذه الرحمة الوسيعة له، ومن كان كذلك فهو ملوم لوماً شديدا، وهذا يفهم من تصور طفل جاء لأمه يبكي ، فسألته عن السبب فذكر لها أن فلانا ضربه فابكاه، والأم تعلم أن هذا الضارب حكيم حليم رحيم، حينها تخبر الطفل أنه ما ضرب إلا لإتيانه شراً عظيما لم يتسع لعفو الضارب ولا لرحمته، فإن ضرب الرحيم يعني غياب موجب الرحمة في المضروب، وهذا لا يقع إلا إذا صار هذا شراً محضا تمتنع الرحمة من لحوقه بل يقع الغضب، وهذا الذي قاله القرآن عن الكافرين(وكنتم قوماً بوراً) والبور لا يصلح لخير قط، ولا ينفعه النصح ولا التربية ، فحقه النار والعذاب.
ولذلك كان من كلام الابن لأبيه، وهو خطاب الخليل لآزر(إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً)، وكأنه يتحنن إليه برحمة الرحيم، ويهدده بشره وإعراضه،وتأمل تنفير الخليل لأبيه من عبادة الشيطان، اذ هي عذاب بنفسها ، وهي كقوله تعالى عن بني اسرائيل(هل أنبئكم بشر من ذلك

مثوبة عند الله من لعنه الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) فكان من العذاب أن يعبد المرء غير الله تعالى، وهو حال قد ضرب القرآن به المثل في قوله تعالى(ضرب الله مثلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً ، الحمد لله رب العالمين).
اذاً فالخليل يقول لوالده: إنه إن عذبك الرحمن دل على عدم استحقاقك الرحمة وهي أوسع باباً وحالاً وعطاءاً، فإن حدث هذا كنت شراً محضاً.
وهذا خطاب الابن لأبيه، يذكره برحمة الله تعالى الواسعة ليقبل اليها، فلا يكون شقيا بعبادة غير الله تعالى.
وهذا المعنى بين في قوله تعالى في نفس السورة(فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً)، فمن عذبه الرحمن فلا يلومن إلا نفسه، لأنه لم يخرج عن موجب العدل فقط بل خرج عن موجب الرحمة كذلك.
بقيت مسألة وهي أن قريش تنكر اسم الرحمن، وهذا فيه أحاديث كحديث صلح الحديبية، حيث أنكره سهيل ابن عمرو في كتابة صك الصلح، وأنكره ابولهب كما في الصحيح في كتابة عقد بيع بينه وبين سعد بن عبادة، وهو مذكور في القرآن في قوله تعالى(واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن)، وأما أهل الكتابين فيعرفونه ويقرون به، كما يذكر هذا أهل التاريخ والتفسير.
اضاءة ----
-- في كل صفة مطلقة لربنا يأتي بها الفعل حين وقوع افرادها مقيداً، فصفة الرحمة جاءت مقيدة بالعطاء وذلك في قوله(فسأكتبها ....)مع شمولها في الخلق والإيجاد والإمداد لجميع الخلق، فدل أن هناك رحمة عامة لعموم الخلق ، ورحمة خاصة هي لمن ذكر الله تعالى، وهذا المعنى جاء في قوله تعالى رداً على اليهود، أعني تقييد الصفة حال وقوع أفرادها من الله تعالى فقال سبحانه(بل يداه مبسوطتان) ثم قال (ينفق كيف يشاء)، وذلك لحكمة قالها في سورة الشورى(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)
-- ورود قوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة) وهي في الأنعام، وكذلك فيها (كتب ربكم على نفسه الرحمة)فيه من المعاني ما يقف المرء العاقل معها ما يعجز عن الإبانة عنه لجلال موطنه ومعناه، فهذه الصفة اصيلة لربنا، وهي فوق ذلك كتبها على نفسه من غير ايجاب عليه من أحد جل في علاه، ففعل الرحمة منه يقع لأمرين أنها صفته جل في علاه، ولأمر آخر أنها كتبها على نفسه، فمن لم يصب حديها هذين كان من أشقى الناس، ومن شره العظيم اصيب.
-- من أدب الأنبياء مع ربهم استرحامهم بصفة الرحمة، كما

في قول سليمان عليه السلام (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) ، وقول موسى عليه السلام (رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين).